

الكتاب

AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01109 6553

[Blank label]

P1
78
H3
19





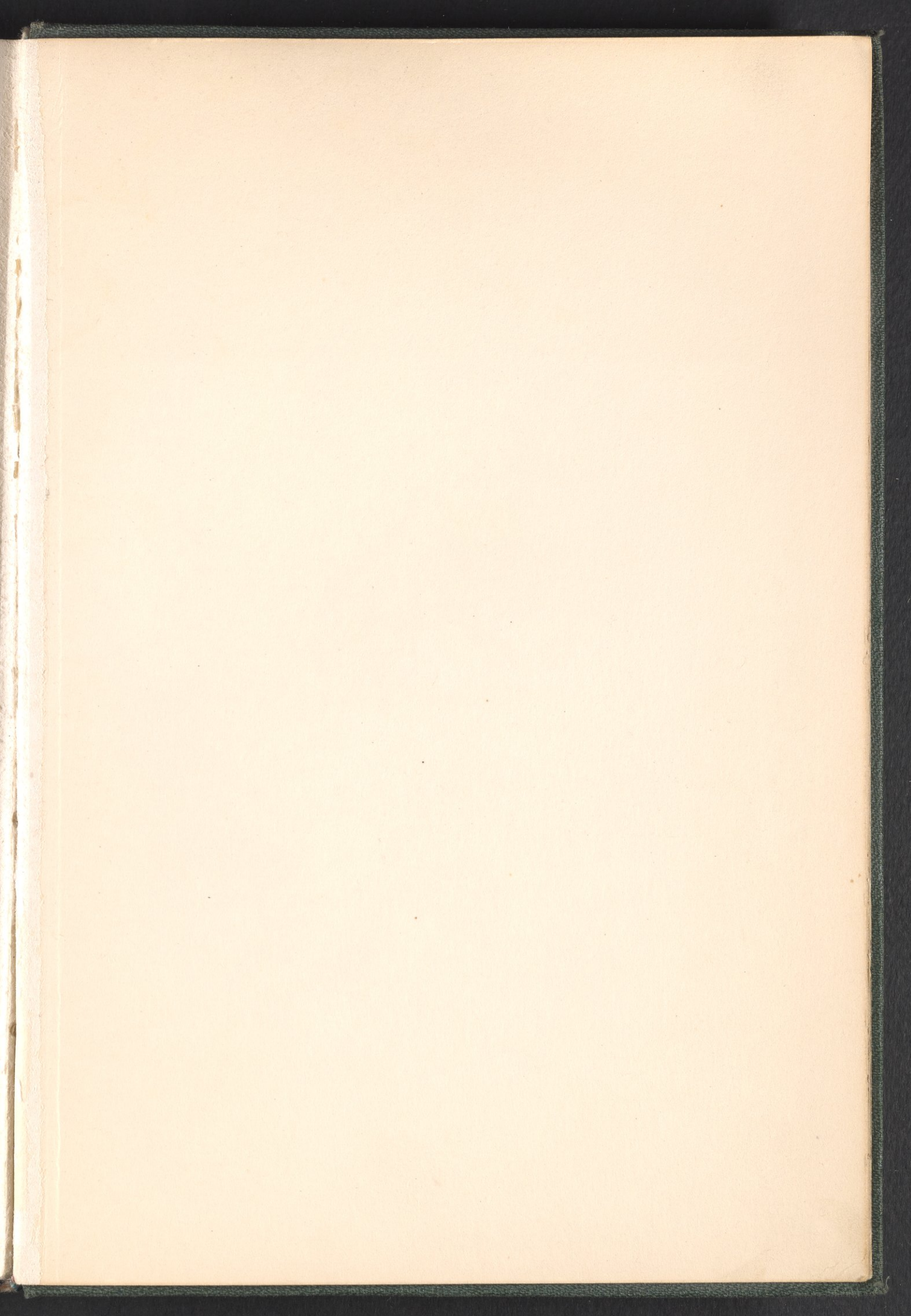
بشاره النخوري

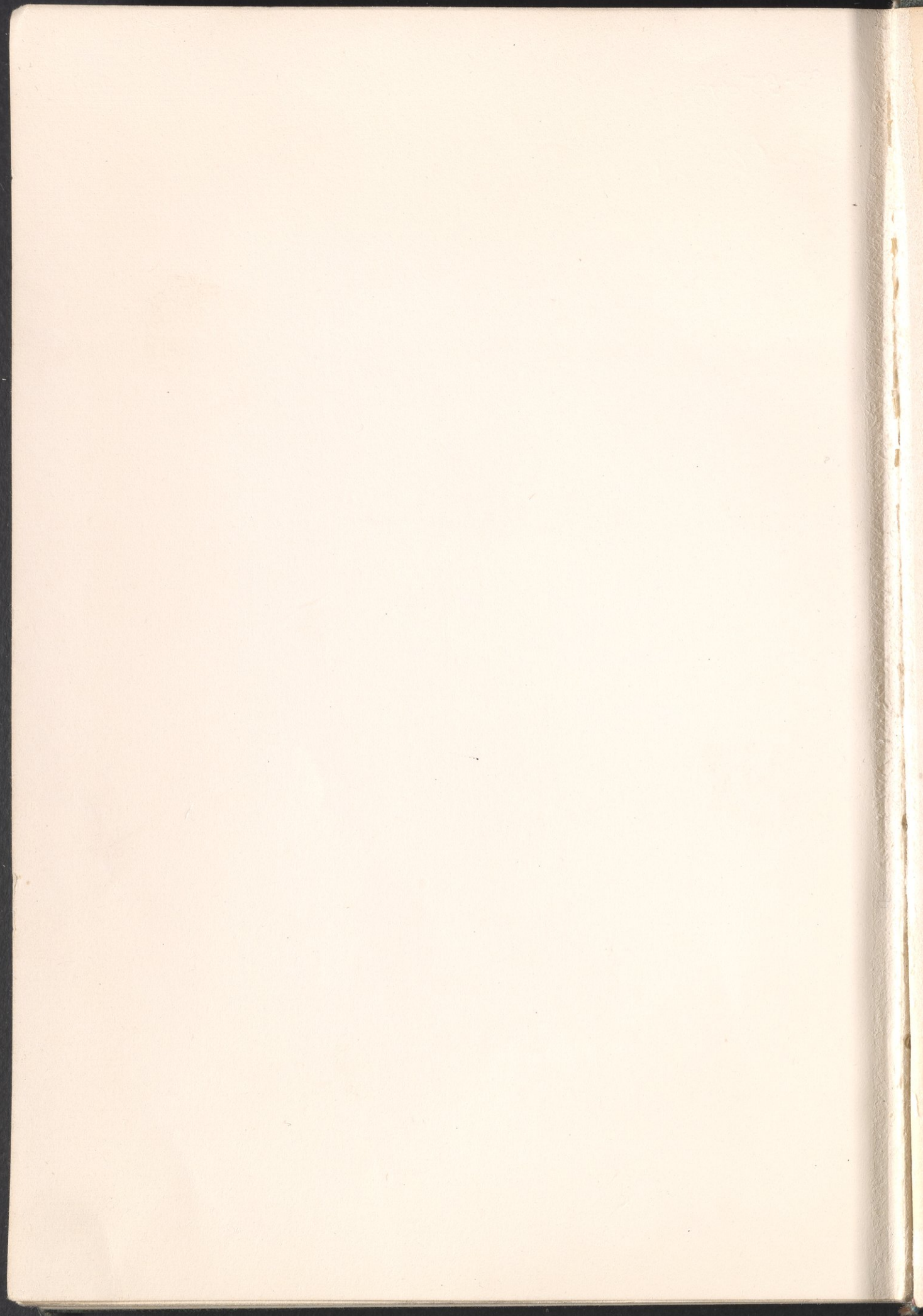
الأخطل الصغير

الهول والشيب

ملتزم الطبع والنشر

دار المعارف





03-85093

put away is

الهوى والشباب



PJ
7842
H8
H3
1953
C.1

بشاره الخوري
الأخطل الصغير

الهوى والشباب

ملتزم الطبع والنشر
دار المعارف

17
18
19
20
21
22

لَبْنَان

لُبْنَانُ كَمْ لِلْحُسْنِ فِيكَ قَصِيدَةٌ ثَرَتْ مَبَاسِمُهَا عَلَيْهَا الْأَنْجُمُ
كَيْفَ انْتَفَتَّ فَجْدُولُهُ مُتَأَوِّهٌ تَحْتَ الْغُصُونِ وَرَبْوَةٌ تَتَبَسَّمُ
وَطَنُ الْجَمِيعِ عَلَى خُدُودِ رِيَاضِهِ تَحْتَالُ فَاطِمَةٌ وَتَنْعَمُ مَرْيَمُ
أَكْمَاتُهُ الْبَيْضَاءُ تَحْتَ سَمَائِهِ الزَّرْقَاءُ أَطْفَالُ تَنَامُ وَتَحْلُمُ
تَتَصَاعَدُ الْقُبُلَاتُ مِنْ أَنْفَاسِهَا وَتَمُرُّ بِالْوَادِي الْوَدِيعِ وَتَلْمُ





الأخطل الصغير

لماذا تسميت بالأخطل الصغير ؟ ...

كانت الحرب العالمية الأولى . ثم كان عهد « جمال » في سوريا ولبنان وهو عهد النفي والمشقة ، بل عهد الإرهاب بجميع أسبابه وأنواعه . وانطوت الأعوام بعد الشهور على حالات شتى من البؤس ، ومفاجآت مفعمة بالخاوف حتى كان تموز من عام ١٩١٦ فإذا أنا مطمئن قليلاً إلى نفسي آنس كثيراً بكتبي بعد طويل وحشة وألم غربة ؛ ولقد كنت وسائر الناس خلال ذلك نتنسم الأخبار عن البادية حيناً وعن البحر حيناً آخر ولا ندري أيدركنا السلم وفينا رفق من الحياة .

وكانت الفكرة السائدة أن الحلفاء سيعثون الإمبراطورية العربية ، وكانت الحاجة ماسة إلى إثارة الحواطر في البلاد تعجلاً ليوم الخلاص وهو كل أمنية البلاد العربية في ذلك العهد . ولم يكن ليجرؤ واحداً ولو في الحلم أن يرسل كلمة في سبيل النهضة

ولو همساً فكيف به إذا هو شاء أن يرسل في ذلك السبيل قصيدة
يترجع صداها .

وكان يعجبني من الأخطل خفة روحه وإبداعه في اصطیاد المعاني
يقودها ذليلة إلى فصیح مبانيه ؛ وفوق ذلك فقد كان الشاعر المسيحي
الفد تنفتح له أبواب الخلائف يملؤها لذة وطرباً وإدلالاً بل يملؤها
ذلك الشرف الذي لا يبلى والمجد الذي لا يفنى كهذا الذي تقرأه له
في بني مروان وعبد الملك :

نَفْسِي فِدَاءُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا أَبْدَى النُّوَاجِزَ يَوْمًا عَارِمٌ ذَكَرُ
الْخَائِضُ الْغَمْرَةَ الْمَيْمُون طَائِرُهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
شُمْسُ الْعَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

فرأيت وأنا أدعو للدولة العربية وموقفي منها موقف الأخطل من
دولة بني مروان أن أدل على حقيقة الشاعر المتنكر فلم أر « كالأخطل
الصغير » أوقع به ما كانت تقطره القريحة المتألمة من شعر لم يبق
لي منه إلا كبقية الوشم في ظاهر اليد .

وكيف استطاع حفظ ذلك الشعر الذي لم أكن أجروء على

الاحتفاظ به بين أوراق في عهد كان هذا لسان حاله :

أَلْجِمِ لِسَانَكَ أَجْمَ فَأُتِمْتُ لِلْمُتَكَلِّمِ
لَا يَسْأَلُونَكَ إِنْ أُخِذَ تَ أَثِمْتَ أَمْ لَمْ تَأْتُمْ
فَالْحَبْلُ شَرُّ مُرَحَّبٍ وَالْعُنُقُ خَيْرُ مُسَلِّمٍ
وَالسَّجْنُ أَكْرَمُ صَاحِبٍ وَالنَّفْيُ أَيْسَرُ مَغْنَمِ

وهي قصيدة طويلة كنت أحتال لحفظها بإثبات قوافيها متسلسلة
ولكن لسوء الحظ أو لحسنه جاء النسيان عليها فطمسها من الذاكرة
إلا بيتين عزيزين مهدت لهما بتصوير الرعب وأخذه بقلوب الناس
حتى لا يأخذ العيون منهم الغمض إلا لماماً :

وَجَرَتْ يَنَابِيعُ الْكَرَى كَتَوَهُمُ الْمُتَوَهُمِ
فَإِذَا عُيُونُهُمْ عَلَيَّهَا كَالطُّيُورِ الْحُومِ

إذن فقد عرفت كيف ومتى تسميت بالأخطل الصغير وهو حسبك .
بشاره الخوري



بشاره الخوري شاعر الهوى والجمال

بقلم الأستاذ عادل الغضبان

نفح الریحان وشُعاع الصّهباء . . .

وحمرة الشّفق وخضرة الأرز

ونعومة الحریر ورقّة خدود الورد . . .

إذا أُجبلتُ بندى الصّباح وبسمة الفجر ونفخ فيها النسيم من
نفثاته كانت صورةً صادقةً لروح بشاره الخوري شاعر الهوى والجمال .
عاش حتى اليوم بتلك الروح الرقيقة الحلوة ينبض بها الشعور
الحيّ الخافق فأسالها على أوتار الشعر غناءً تنتشي منه القلوب قبل الأسماع
وحمل ذلك الغناء إلى قلوب الناس صوراً من جراحات الهوى وبسماته فكان
لنفوسهم مهزّة حرّكت جوانح الهائئ السعيد وسكبت بلسم العزاء على
فؤاد الشجيّ العميد .

ديوان « الهوى والشباب » وهو الجزء الأول من شعر الشاعر الكبير
الأستاذ بشاره الخوري قطعة موسيقية تعدّت فيها الأصوات والنغمات

ولكنها صدرت كلها عن قيثارة الهوى والشباب فهناك ما شئت من أمانٍ
وأحلام وهناك ما شئت من بسمات المنى وعبسات القدر وهناك ما شئت
من حلاوة الوصال ومرارة الهجر ومن غفوات النجوم على سواعد السحاب
أو رقصات الزهر على ألحان الغدير وينبوع هذا كله قلبٌ شاعرٌ فياض
بالشعور قدّمه صاحبه على مذبح الهوى والشباب قرباناً يفدي به
جمهرة العشاق كأنه المبعوث إلى عالم الحب ليحمل عن المحبين أثقال العذاب
والألم حتى إذا ضاق بالفداء ذرعاً كما ضاق به المسيح يوم طلب
إلى الله أن يبعد عنه تلك الكأس نراه يجأر ويصيح :

أَنَا الْعَاشِقُ الْوَحِيدُ لَتَلْقَى تَبِعَاتُ الْهَوَى عَلَى كَتِفِيَّ

على أنها صيحة في لحظة برّم ويأس فالشاعر قد حمل تبعات الهوى
على كتفيه وكان منذ شبابه الأول صنّاجة المحبين يلمّ أمانهم ويجمع
أشجانهم ويمرّ بها على نياط قلبه فتطلقها أناشيد تحدث العشاق عن
العشاق وهو وحده يعرف مباعثها وأغوارها ويقول في ذلك :

خَلَقَ اللَّهُ لِلْهَوَى قُبْلَةَ الرُّوحِ وَرَاءَ الْخُدُودِ وَالْأَجْيَادِ
أَنَا أَدْرِي بِالطَّيْرِ حِينَ تَغْنِي كَمْ جَرَّاحٍ سَالَتْ عَلَى الْأَعْوَادِ

وهذه الجراحُ الكامنة وراء تغريد الطيور ينطوي قلب الشاعر على
مثلها فإذا سجع وغرّد فمن فؤاد خلقه الله من شعاع ودموع وما هي
نغمات ترسلها العقيرة وإنما هي قطرات من دم الفؤاد :

ليسَ ما يشجيكَ مِنِّي نغماتٌ في فَمِي
إنَّها وا لهفَ نفسي قطراتٌ من دَمِي

ذلك هو الطابع الذي يمتاز به شعر الأخطل الصغير في ديوان
« الهوى والشباب » .

والأخطل الصغير هو بشاره الحوري ولقد ذكر لنا في الصفحات
الأولى من هذا الديوان لماذا تسمّى بالأخطل الصغير .

فلأخطل الصغير اليوم في الأمم العربية منزلة الأخطل الكبير
في الدولة الأموية فما من بلد عربي إلا وله في نفوس أبنائه المكانة
الرفيعة فإن لم يكن شاعر دولة بعينها أو شاعر أمير بعينه فلأنه شاعر
الدول والأمراء أجمع وشاعر الأمة العربية جمعاء أنزلته من فؤادها في
الصميم وجعلته فيه بين النخبة المختارة من شعراء القرن العشرين الذين
تؤثرهم بالحبّة والإعجاب .

ولئن كان الأخطل الكبير يدخل على الملوك في مجالسهم ويحظى
عندهم وكان الخليفة يكرّمه وأولاد الملوك والأمراء يعظّمونه ويبجلّونه لقد
حظي الأخطل الصغير عند كل ملك ورئيس وأمير بسلته حظوته عند
شعوب العرب طرّاً وجاء تكريم الأمير عبد الله الفيصل آل سعود إياه
متوجّجاً لشاعريته كأنه الموشور الذي تنعكس منه أضواء التعظيم فزهي
الأدب وافتخر الشعر والشعراء .

وكان للأخطل الكبير رواية اسمه جرير يروي شعره وينشره في الناس
أما الأخطل الصغير فله جيوش من الرواة فقد سار شعره على كهّوات
المغنين يتفننون فيه تلحيناً وإنشاداً وسار على أفواه المعجبين يتناشدونه
في كل مدينة وقرية وهذا منتهى ما يصبو إليه الشاعر العبقرى الصدّاح .

ولكن هل تقف المشابهة بين الأخطلين عند نصرانيتهما ومكانهما
من الرؤساء . لا نظن هذا وحده هو الذي أوحى إلى بشاره الخوري بأن
يتسمّى بالأخطل الصغير عندما اضطرتّه الأحوال إلى التكمم والاستتار
فلا بد أن يكون بينهما تجاوب روحي حمل شاعر القرن العشرين على أن
يختار اسم الأخطل وإننا لنلمس ذلك التجاوب في شعرهما الذي
يصوّر لنا تشابه نفسيهما فكلاهما شاعر الهوى والجمال .

يتألق شعر الأخطل الكبير في كثير من قصائده بوصف شجون
الفؤاد ومطارح الهوى والصبابة ولا يخلو من وصف جمال المرأة على النحو
الذي كان يستسيغه ذوق العصر فالمرأة في نظره :

أَسِيلَةُ مَجْرَى الدَّمْعِ أَمَّا وَشَاحُهَا فَجَارٍ وَأَمَّا الْحِجْلُ مِنْهَا فَمَا يَجْرِي
ويظل يتعقب ذلك الجمال يبحث عنه مدفوعاً إليه بخفقان الفؤاد
وَنَهَمِ الْعَيْنِ لَا يَرْتَوِي مِنْهُ وَلَا يَشْبَعُ فَكَلِمَا سَكَنَ فؤَادَهُ حَرَكَةُ هَوَى جَدِيدٍ
وجمال جديد :

وَإِذَا أَقُولُ صَوْتُ عَنْ أَذْوَانِهَا هَاجَ الْفؤَادَ دُمَيَّ أَوَانِسُ حُورُ
ومثل هذا التجدد في رُوح القلب وريحانه يشعر به الأخطل الصغير
ويسرّ به في قرارة نفسه غير أنه لا يلبث أن يصيح صيحة القوي المعتدّ
بنفسه :

كَفَانِي يَا قَلْبَ مَا أَحْمَلُ أَفِي كُلِّ يَوْمٍ هَوَى أَوَّلُ
وإنه لدلال من الشاعر ليس إلا . . . فما صرخته هذه وما صرخته
السابقة التي يتأفف فيها من حمل تبعات الهوى وحده إلا استفهام إنكاري
خرج عن معناه للتقرير كما يقول البلاغيون فديوان « الهوى والشباب »

الزاهر بأمواج الحب والصباية والمشعشع بالهوى والجمال يجعلنا لا نؤمن
 بهذا الاستفهام ويدفعنا إلى أن نعدّه دلالاً واعتداداً فيينا الأخطل الكبير
 يفرق ويرتعد من المشيب ونراه يكثّر من ذكر مخاوفه ومن إعراض الغانيات
 عنه يوم حنى قوسه موتّرها وابيضّ بعد سواد اللمة الشعر نجد الأخطل
 الصغير يصرّ إصرار مكابر عنيد على أنه ابن بجدة الحب وأنه من الهوى
 « أمه وأبوه » وأنه حليّس هوى وغرام لا يزدجر ولا يتوب خفّت به وثبة
 الشباب أم قعد به عجز المشيب فيندّد بالواهمين ويصيح :

كذب الواشي وخاب من رأى الشاعر تاب
 عمره فجر من الحبّ وليل من شراب

ويزيد إصراراً وتشبّهاً بالهوى والجمال كلما لاحت له بسمة صفراء
 تكمن وراءها أشباح الشماتة بالشباب الداوي والصبا الهاوي فينتفض
 انتفاضة الأسد الجريح ويزأر بهذه الجراح الناطقة :

أنا لا أشيعُ بالدموعِ صبايتي لكن ألفُ جناحها بجناحي
 من كان من دنياه ينفضُ راحه فأنا على دنياي أقبضُ راحي
 إني أفدي كلَّ شمسٍ أصيلةٍ حذرَ المغيبِ بألفِ شمسٍ صباح

والأخطل الصغير لا يرى جمال المرأة حيث يراه الأخطل الكبير
أسالةً في الخد وضموراً في الحصر وعَبَلاً في الذراع والساق إنه يراه
أولاً في الروح الرهيفة السامية السابحة في غمرات الضياء فوق مناكب
الحسن فلا يعدلها في الأرض إلا أرواح الملائكة في السماء . ويوم يشاء
أن ينظر إلى المرأة نظرة أهل الأرض نراه يرسمها كما رسمها شعراء العرب
ولكن بأضواء وظلال جديدة وبطلاء جديد لا يكتفي فيه بألوان قوس
قزح بل يتأنق فنه في المزج بين لون وآخر ويتبدع ألواناً جديدة هي
من صنع عقله وقلبه وفنه فرسومه تلك مبثوثة في جوانب شتى من
قصائده ولقد حلا له يوماً أن يجمعها في لوح واحد فكانت قصيدة
« هند وأمها » .

ولقد يبرز الأخطل الكبير في غير فن من فنون الشعر وقد يتجاوب
وشاعرنا في كثير من نزعات النفس وخفقات الفؤاد ولكنه في الهوى والجمال
تلميذ للأخطل الصغير ولا غلو . فراية شاعر بني أمية في هذا الميدان
تقصر عن راية ابن لبنان المشكوكة في أعلى قمة من جبل الوحي والإلهام
فليس للأخطل الكبير على كثرة ما غنى للهوى والجمال أفانين الأخطل
الصغير ولا خفة روحه وليس له فيهما تلك المعاني التي تهز السامع

وتنتزع منه آهات الإعجاب وترقصه على حبال الطرب ولو كان أرسخ
من صنيّين حلماً ووقاراً فليس للأخطل الكبير مثل هذا الشعر المرقص
المطرب :

ما كانَ أَحَلَى قُبُلَاتِ الْهَوَىٰ إِنْ كُنْتَ لَا تَذْكُرُ فَاسْأَلْ فَمَكَ
تَمُرُّ بِي كَأَنَّنِي لَمْ أَكُنْ تُغْرِكْ أَوْ صَدْرَكَ أَوْ مِعْصَمَكَ
لَوْ مَرَّ سَيْفٌ بَيْنَنَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ هَلْ أَجْرَى دَمِي أَوْ دَمَكَ
وليس له مثل هذه الحكمة في الحب والعشاق :

هكذا أهلُ الغزلِ كلما خافوا المللَ أنْعَشُوهُ بِالْقَبْلِ
ولا له هذا الإغراء الذي يطيح برصانة القلوب وعفاف الشفاه :

ما للشفاهِ الكَسَالَى لَا تَزُوْدُنَا فَقَدْ حَمَلْنَا عَلَى أَفْوَاهِنَا الْقِرْبَا
ولا عرف أن يبلغ المحبين رسالات الهوى على هذا النحو اللذيذ الفاتن :
رسالةٌ مِنْ فَمِهِ لِفَمِهَا كذا رسالاتُ الْهَوَى تُخْتَصَرُ

وهذا هو الإعجاز في الإيجاز . ولالأخطل الصغير في مثل هذه
المعاني المستقاة من ينابيع الهوى والجمال ذخيرة وافرة بل كثر ثمين تجعله

أغنى شعراء الحب ثروة وأرفعهم ذروة وأوفرهم تفنناً فهو إمام المحبين
يوزع عليهم الكاسات والأقداح ويملؤها لهم من شراب الهوى والصبابة
ولا يضيره أن يكون واقعي المذهب أحياناً قاسياً على الحقيقة وعلى الحبيب
معاً وأنسى يحفل بالرمز إذا هو علّ من نبع الواقع فاسمع لتلك الفراشة
ماذا تقول :

فأنا بصدرٍ حبيتي كفراشةٍ في قلبٍ ورده

فلينهل ما شاء من عطر الورد فإذا ارتوى وأراد الم قيل وفر له الهوى
وساداً وثيراً ناعماً جميلاً وصفه فقال :

ورمى الهوى بي فارتميتُ وكان نهداها الخدّه

وإمامته في الحب وسلطانه الأعلى فيه وعلمه الخفّاق في شعر الحب
كل هذا يلبسه هذا الثوب من الأثرة فيرشف ما يشتهي ويتسدد حيث
يشتهي غير حافل بما تحت الوساد من قلب خافق ونفس مضطربة
فيحيي بن بقي الأندلسي لم يكن في مثل شجاعته عندما قال :

حتى إذا مالت به سنة الكرى زحزحته عني وكان معانقي
باعدته عن أضلع تشافه كيلا ينام على وسادٍ خافق

وفيمَ يتشجع الأخطل الصغير وعلام يترفق وهو الأمير المنشّر
الأعلام في دولة الهوى والجمال فلئن عرف للحسن مقامه وجلاله إنه يقدر
أيضاً للشعر قوته وسلطانه .

فإن صحّ أن يكون أحدهما التابع والآخر المتبوع فحريّ بأن يكون
الشعر هو السيد المؤمّر وعلى هذا فمن حق الشعر أن يتيه دلالةً على الحسن
ففي يديه نشر صيته وبثّ محاسنه وفي قوافيه مقاصير الخلود يسكنه إياها
منعماً متفضلاً فله شاعرنا مفاضلاً بين الشعر والحسن مكللاً جبين الشعر
بغار السبق إذ يقول :

ما الحسنُ لولا الشعرُ إلا زهرةٌ يلهو بها في لحظتينِ التَّظَرُ
لكنّها إن أدركتها رقةٌ من شاعرٍ أو دمةٌ تنحدرُ
سالتْ دماءُ الخلدِ في أوراقِها ونامَ تحتَ قدميها القدرُ

ولم تقف المشاكلة الروحية بين الأخطلين عند حدّ الهوى والجمال
فقد تعدّتهما إلى بنت الكروم وإلى إبداع كل منهما في وصفها حيّةً
ومقتولة .

قيل لأبي نواس ماذا تقول في شعر الأخطل قال هو إمامي في الحمر

فالأخطل الصغير إذن هو حفيد الأخطل الكبير ورث عنه حب وصف الخمر فكان له فيها آيات فإن كان الفضل للمتقدم فكم ترك الأول للآخر .

لئن تأثر الأخطل الصغير أبا نواس وسميّه حتي الأعشى الذي تداوى من الخمر بالخمر إنه اتبع فيها مذهب الخيام الظاهر وإنما الحياة زجاجة خمر تحت غصن ظليل في قفر ووصال حبيب في هذا العمر الجديب وانتهاج فرص الشراب فالغد مجهول الحساب وفي هذا الغد المجهول يقول بشاره الحوري :

لم يكن لي غدٌ فأفرغتُ كأسِي ثم حطمتُها على شفتَيَا

ولكنه لم يذهب مذهب الخيام فيما بعد الحياة فما طلب - بعد عمر طويل فسيح - أن يكفن بأوراق الكروم وأن يغسل بالسلاف الصرف الصافي وأن يدفن تحت دالية من دوالي العنب ولا طلب من المعرجين على قبره أن يسكبوا فوق عشبه وزهره كؤوس الحميا والمدام ولا هو حاكى أبا محجن الثقفي الأسدي القائل :

إذا متُ فادفني إلى جنبِ كرمَةٍ تروّي عظامي في الماتِ عروقتها

ولا تدفني في الفلاة فإني أخافُ إذا ما متُ أن لا أذوقها

وأنتي له أن يطلب هذا وذاك وهو زعيمٌ أن لا عطر بعد عروس
ولا هوى ولا خمر بعد الأخطل الصغير أوليس هو القائل :

وُلِدَ الهَوَى والخمرُ ليلةَ مولدي وسيُخملانِ معي على ألواحِي

فماذا إذن . إنها الحياة وكفى . والحياة ما هي في عرفه . إنها « صهباء
صارخة وليل ضاحي » وإنها :

سكراتٌ وما تجرُّ فلا النُصْحُ — بحُ بمُجدٍ ولا الملامُ بناه

وإذا كان الأخطل الكبير يستعذب موت السكر ويود كلما دبَّت
فيه الحياة من جديد لو يعود إلى الميتة التي كان عليها ويعرب عن ميته
تلك بقوله :

شربنا فمتنا ميتةً جاهليَّةً خلا أننا في موتنا ليس نلحدُ

ثلاثةُ أيامٍ فلما تنبَّهتُ حشاشاتُ أنفاسٍ اتتنا ترددُ

حيننا حياةً لم تكن من قيامةٍ علينا ولا حشرُ أتاناهُ موعدُ

وقلنا لساقينا عليكَ فعُدْ بنا إلى مثلها بالأمس فالعودُ أحمدُ

فإن الأخطل الصغير يختصر الطريق فعلام يتداول الإنسان موتاً
فبعث ثم موت فبعث وهكذا دواليك فنعمة الحياة أن يكون العمر كله
سكراً متواصلاً بل تلك هي في رأيه حكمة الدهر :

حكمة الدهر أن نعيش سكارى فأجمعاً لي الكؤوس والأوتاراً

وحكمة الدهر هذه مذهب يريد لو ينضوي تحت لوائه جميع الناس
فالنفس الحيرة تحب أن ينتشر الخير في جميع النفوس وهكذا نفس الشاعر
عندما هبت تغري الناس بتلك الحكمة الخالدة وتحثهم على الشراب
وهي تقول :

أنا لست أرضى للندامى أن أرى كسل الهوى وتثاؤب الأقداح
أدب الشراب إذا المدامة عر بدت في كأسها أن لا تكون الصاحي

* * *

تلك لمحات من شعر ديوان « الهوى والشباب » ووراءها أبواب تفضي
بك إلى جنّات من الشعر حافلة بالورد والريحان زاهية بالغصون الناضرة
والثمار اليانعة مزدانة بالجدول الرقاقة تعب منها البلابل والعنادل ثم تسجع
وتغرد على منابر الأرائك فتطرب لغنائها آذان النسيم ومسامع النجوم .

ولكن هل اقتصر هذا الديوان على نغمات الصبا والصبابة . كلا .
فقد بثّ فيه الشاعر ألحاناً أخرى نجدها حيناً كالحباب في كؤوس
الهوى والجمال ونجدها حيناً آخر تستقل كل قصيدة منها بالكأس كلها
وما تحويه من شراب ونفح وحباب . فهناك قصائد في الوطنية وفي
العروبة وفي الرثاء طلعت كواكب ساطعة في سماء « الهوى والشباب » لتدل
القارئ على أن وراءها سموات من الشعر مرصّعة بالشاعرية المتألّثة
والرأي الثاقب والعاطفة المشبوبة والوطنية الصادقة والعروبة الصافية وتضرب
له موعداً معها في الأجزاء التالية إن شاء الله .

وفي تلك الألحان التي جاءت تتساق ونغمات الهوى والشباب
يطالعنا أولاً لحن الوطن فالشاعر لبناني محتداً ومولداً ومنشأً فلا عجب
أن يخصصّ وطنه بنفثات الحب والهيام ويصوّر جماله الطبيعي تارة ثم
يصوّر أحداثه السياسية تارة أخرى ويطلق الحمم في وجه المستعمر
الغاصب وإليك جذوة صغيرة من شعوره الوطني الملهب :

قالوا الصداقة قلنا أينَ شاهدها عندما تلفظُ الأجدادُ موتها
أكلما طورِدَ الشذاذُ في بلدٍ أوْما العميدُ ولبنانُ تبناها

ونحنُ لو نوَلّوا الأرزاءُ بُغْيَتِها وأمرّوها لكنا من رعاياها

ولم يرزاً لبنان في جهاده الطويل بالأحداث السياسية فقط بل
نكبه الدهر بكثير من الأحداث الاجتماعية عصرت قلوب أبنائه وأثارت
قلب الشاعر فوصف جراحات الوطن بقوافٍ حُمرٍ مخضبة بدماء الضحايا
فاقرأ له « أنا الجاني » و « الريال المزيف » و « المهى أهدت إليها
المقلتين » لتعرف أغوار الجراح الاجتماعية التي غمس بها الشاعر ريشته
ثم أسال على أسلتها ذوب المآقي والأكباد .

وهناك لحن العدالة الاجتماعية تسمع منه شكوى القلوب الرحيمة
من فوارق الطبقات ولبشاره الحوري في هذا وقفات تهز القلوب وحسبنا
أن نجتزئ عن البحر بالوشل ونضع أمام قلبك وبصيرتك هذين البيتين :

رَبِّ هل من نصفَةٍ في ولدَيْنِ خرَجاً من مصدرينِ افتَرَقا
فإذا الموسرُ يُكسَى حُلَّتَيْنِ بينما المعسرُ يُكسَى الخِرَقا

وهناك لحن العروبة في مشاطرة فلسطين محتها الدامية وفي اتحاد
العرب دون البغي والظلم وتآخيمهم وإن اختلفوا ديناً وعقيدة :

ضجّت الصحراء تشكو عُرْيَها فكسّوناها زثيراً ودُخانا
يثربُ والقدسُ منذُ احتلّما كعبتنا وهوى العُربِ هواناً

إلى آخر ما هناك من أصوات تنحدر من مصادر الإلهام .

* * *

بشاره الخوري في ديوانه هذا شاعر غريد رفع الشعر الغنائي إلى
أرفع أوج واستوى على عرشه وهو فيه كذلك شاعر مصوّر نثر الصور
والألواح في ثنايا شعره القصصي وشعره الغنائي فكان ديوانه متحفاً للفنون
الجميلة فإن كان لا بد من مثال فلنكتف بصورة المسلول :

هذا الفتى في الأمس صار إلى	رجلٍ هزيلٍ الجسمِ مُنْجَرِدِ
متجعّد الخدين من سرفٍ	متكسر الجفنين من سهدٍ
عيناهُ عالقَتان في نفقٍ	كسراجٍ كوخٍ نصفٍ متقدٍ
تهتزُّ أملهُ فتحسبها	ورقَ الخريفِ أصيبَ بالبردِ
يمشي بعلته على مهلٍ	فكأنه يمشي على قصدٍ
ويمجُّ أحياناً دماً فعلى	منديلهِ قطعٌ من الكبدِ

وهو في تصويره يتفنن ويبتكر فترى منه صوراً عربية مطعمة بألوان
غربية وترى منه صوراً عربية جديدة مشرقة فقد عرف العرب الليالي
النابعية وهي ليالي الهم والسهد فابتدع هو لليالي الأنس واللهو نسباً
جديداً فقال :

في مثل ليالاتِ «الوليد» نقولُ للكاساتِ فيضي
وطاب له أن يصف الصمت فألهمته مخيلته هذا الوصف الجميل الخفيف :
صمتٌ يقزُّك فيه خَبُّ النَّمْلِ في مَلَسِ الرِّخامِ
وهكذا لا تخلو كل قصيدة له من صور ومن أبيات شوارد تجري
مجرى الأمثال في فم الزمان وسمعه .

* * *

وبعد فليست كاحتنا هذه إلا صورة خيط رفيع من أشعة الشاعرية
في هذا الديوان . أما الطاقة النورانية فتتجلى وتتلأأ في أضعاف هذا
الديوان نفسه تشرق من سينائه لتقول للناس إن بشاره الخوري هو شاعر
الهوى والجمال . . .

عادل الغضبان





تَحِيَّةُ الشَّعْرِ

إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل آل سعود

شاء صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل أن لا تظل
هذه القصائد مطوية أو مبعثرة فهرها مهراً كريماً ضمن لها
البروز بالمظهر الذي ترى . كان ذلك عند مروره بلبنان وفي
ذلك الاجتماع الذي ضم نخبة من أدباء البلد أقبلوا لتحية سموه
وتكريمه . ولم أكن أعرف هذا الصديق الكبير وجهاً لوجه قبل
تلك الساعة ولكنه حفظه الله سبق له أن شملني بصادقته وتأييده
فما اجتمع في محفل ولا نزل في بلد إلا أسبغ ثناءه وأظهر
إعجابه . وإنها لغيرة على الأدب تقابل بجزيل الشكر وأطيبه .

سَلْ مَغَانِي الصَّبَا وَتِلْكَ الْمَلَاهِي كَمْ تَرَشَّفَنَ مِنْ طُلَى وَشِفَاهِ
سَكَرَاتٍ وَمَا تَجَرُّ فَلَ الْنُصْحُ — حُ بِمُجْدٍ وَلَا الْمَلَامُ بِنَاهِ
فِي حِمَى لَمَّةٍ مِنَ الْفَاحِمِ الْجَزْ لَ فِي مَوْكِبِ الصَّبَا أَلْتِيَاهِ
ظُنَّ مَا شِئْتَ أَنْ تَظُنَّ وَلَكِنْ بِأَبِي أَنْتَ لَا تَسَلْنِي مَا هِيَ
أَخَذَتْنَا الْعُيُونُ مِنْ كُلِّ صَوْبٍ وَدَهَتْنَا وَمَا أَرْغَوَيْنَا الدَّوَاهِي
أَيْنَ مِنَّا لِيُنْجِلِيَ اللَّيْلُ عَنَّا قَبَسٌ مِنْ جَبِينِ «عَبْدِ اللَّهِ»

سَيِّدُ السَّيْفِ وَالْيَرَّاعِ فَلَا أَعَزُّ مُمْ بِنَابٍ وَلَا الْبَيَّانُ بِوَاهٍ
جَدُّهُ جَدُّهُ الَّذِي شَيَّدَ الْمَذْكَ عَلَى مَفْرِقِ النُّجُومِ الزَّوَاهِي
قُبَّةٌ مِنْ مَكَارِمٍ وَجِدَارٌ مِنْ فَخَارٍ وَعَتَبَةٌ مِنْ جِبَاهٍ
أَنْتَ لِلذُّرَّةِ الْمُسَيَّعَةِ مِنْهُ فِي الرُّوَّائِينَ مِنْ شَبَابٍ وَجَاهٍ

غُرَّةَ الْفَجْرِ تِلْكَ غُرَّةُ عَبْدِ اللَّهِ يَا لِلتَّوَّائِمِ الْأَشْبَاهِ
لَمْ يَرَ الْقَطْرُ وَالنَّدَى مَنْ يُجَارِيهِ وَلَا الزَّهْرُ وَالشَّدَا مَنْ يُضَاهِي
يَتَفَيَّأُ نَشْءُ الْجَزِيرَةِ مِنْهُ بِلَوَاءٍ مِنْ رَافَةِ وَرَفَاهِ
كَلِمَا حَلَّ رَبُّوَةً مِنْ رَبِّي الْمَجْدِ أَدَلَّتْ بَعِزَّةَ الْمُتَبَاهِي

أَيْهَا النِّجْمُ مِنْ سَعُودٍ رَعَاكَ اللَّهُ ، عَوَّذْتُ بِحَدِّكَ بِاللَّهِ
هَآكِهَآ طُرْفَةٌ يَتِيهِ بِهَا الشُّعْرُ غَرَامَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَفْوَاهِ
يَتَغَنَّى بِهَا الْمُغَنِّي فَرُوحِي يَنْ أَوْتَارِهِ اللَّطَافِ وَآهِي

صيف ١٩٥٢



الهوى والشباب

لقد صدرنا هذا الجزء بهذه القصيدة

لأننا استعزنا اسمه منها .

أَلْهَوَى وَالشَّبَابُ وَالْأَمَلُ الْمَنْشُودُ تُوحِي فَتَبْعَتْهُ الشُّعْرُ حَيًّا
وَأَلْهَوَى وَالشَّبَابُ وَالْأَمَلُ الْمَنْشُودُ ضَاعَتْ جَمِيعُهَا مِنْ يَدَيَّا

يَشْرَبُ الْكَأْسَ ذُو الْحِجَى وَيُبْقِي لَغْدٍ فِي قَرَارَةِ الْكَأْسِ شَيًّا
لَمْ يَكُنْ لِي غَدٌ فَأَفْرَغْتُ كُلِّي ثُمَّ حَطَّمْتُهَا عَلَى شَفَتَيَّا

أَيُّهَا الْخَافِقُ الْمَعَذَّبُ يَا قَلْبِي نَزَحْتَ الدُّمُوعَ مِنْ مُقْلَتَيَّا
أَفْحَمْتُ عَلَيَّ إِرْسَالَ دَمْعِي كُلَّمَا لَاحَ بَارِقٌ فِي مُحَيَّا

يَا حَبِيبِي لِأَجْلِ عَيْنَيْكَ مَا أَلْقَى وَمَا أَوَّلَ الْوُشَاةِ عَلَيَّا
أَنَا الْعَاشِقُ الْوَحِيدُ لَتُلْقَى تَبِعَاتُ الْهَوَى عَلَى كَتِفَيَّا

إِسْقِنِي مِنْ لَمَّاكَ أَشْهَى مِنَ الْخَمِّ — وَنَمِّ سَاعَةً عَلَى رَاحَتِيَا
أَنَا مَاضٍ غَدًا مَعَ الْفَجْرِ فَأَسْكُبُ نَعَمَاتِ الْحَنَانِ فِي أُذُنِيَا

١٩٢٥





وَصَفُ فَتَاةٍ

عِنْدَ الْعَرَبِ

سَكَبَ اللَّهُ دَمْعَةً فَإِذَا هِيَ نَفْسُ « لَيْلَى » بِلُطْفِهَا الْمُتَنَاهِي
أَيُّبَاهِي بِحُسْنِهِ مُتَبَاهِي وَهِيَ لَيْلَى - وَذَاكَ قَوْلُ الْإِلَهِ -
صُنْعُ عَيْنِي وَالنَّاسُ صُنْعُ يَدَيَّ
شَعْرُهَا قِطْعَةٌ مِنَ اللَّيْلِ وَالْخَدَّ قَبْلَتُهُ شَمْسُ الضُّحَى فَتَوَرَّدُ
وَعَلَى صَدْرِهَا مَتَى تَدْنَهُدَّ مَوْجَةٌ هَزَّتِ الصَّغِيرَيْنِ فِي الْمَهْدِ
فَأُشْرَأَبَا كَمَنْ تَخَوَّفَ شَيْئًا

عِنْدَ الْإِفْرَنْجِ

رَقَدَتْ تَرَشِيفُ الْكَرَى مُقْلَتَاهَا مِثْلَمَا تَرَشِيفُ الْعِطَاشِ الْمِيَاهَا
صَاعِدَاتِ أَنْفَاسُهَا هَادِيَاتِ كَصَلَاةِ الْأَطْفَالِ طَهْرُ شَذَاهَا
تَحْلُمُ الْحُلْمَ لَوْ لَوِيًّا فَتَمْلِيهِ طَهُورًا عَلَى الصَّبَا شَفَتَاهَا
وَأَزَاحَ النَّسِيمُ عَنْ صَدْرِهَا الثَّوْبَ بَ فَلَاحَا... وَلَا تَقُلْ نَهْدَاهَا
شَكَّ فِي نَفْسِهِ الْمَلَاكُ فَلَا يَدُ رِي إِذَا كَانَ صَبَّهَا أُمُّ أَخَاهَا

رَحْمَةُ رَبِّ

من قصيدة « بلغوها إذا أتيتم حماها »

لَمْ يَشْقِنِي يَوْمُ الْقِيَامَةِ لَوْلَا أَمَلِي أَنَّنِي هُنَاكَ أَرَاهَا
وَلَوْ أَنَّ النِّعِمَ كَانَ جَزَائِي فِي جِهَادِي وَالنَّارَ كَانَتْ جَزَاهَا
لَمَلَأْتُ السَّمَاءَ شَكْوَى غَرَامِي فَشَغَلْتُ الْأَبْرَارَ عَنْ تَقْوَاهَا
وَمَشَى الْحُبُّ فِي الْمَلَائِكِ حَتَّى خَافَ جِبْرِيلُ مِنْهُمْ عُقْبَاهَا

قُلْتُ يَا رَبُّ أَيَّ ذَنْبٍ جَنَنْتُهُ أَيَّ ذَنْبٍ لَقَدْ ظَلَمْتَ صَبَاهَا
أَنْتَ ذَوَّبْتَ فِي مُحَاجِرِهَا السَّخَرُ وَرَصَّعْتَ بِاللَّالِئِ فَاهَا
أَنْتَ عَسَلْتَ ثَغَرَهَا فِقُلُوبُ النَّاسِ نَحْلُ أَكَامُهَا شَفَتَاهَا

رَحْمَةُ رَبِّ لَسْتُ أَسْأَلُ عَذْلًا رَبُّ خُذْنِي إِنْ أَخْطَأْتُ بِخَطَاهَا
دَعِ سُلَيْمَى تَكُونُ حَيْثُ تَرَانِي أَوْ فَدَعْنِي أَكُونُ حَيْثُ أَرَاهَا



أَيْنَ عَيْنَاكَ

أَيُّهَا الْغَائِبُ الَّذِي فِي فُؤَادِي حَاضِرٌ كَيْفَ حَالُ قَلْبِكَ بَعْدِي
أَيْنَ عَيْنَاكَ ، تَنْظُرَانِي وَكَفَيْ فَوْقَ قَلْبِي وَمَدَمَعِي فَوْقَ خَدِّي
هَائِمًا فِي الظَّلَامِ يَلْدَعُ حَرُّ الْوَجْدِ قَلْبِي وَيَلْدَعُ الْبَرْدُ جِلْدِي
شَبَحَ طَائِفٌ كَسْتَهُ يَدُ اللَّيْلِ بِرْدٍ كَوَجْهِهِ مُسَوِّدٌ
بَيْدَ أَنِّي لَوْ شِئْتُ مَا اعْتَرَفَ اللَّيْلُ بِسُهُودِي وَلَا اعْتَرَفْتُ بِوَجْدِي
وَلَمَّا هَزَّ صَفْعُ نَعْلِي لِلْأَرْضِ ضِيقُ سُكُونِ الظَّلَامِ إِذْ جَدَّ جَدِّي
وَلَمَّا اسْتَلَّنِي الشَّقَاءُ حُسَامًا فِي نَهَارِي وَصَيَّرَ اللَّيْلَ غِمْدِي
وَلَمَّا حَيَّرَ الْكَوَاكِبَ مِنِّي زَفَرَاتُ كُشْنِبِهَا ذَاتُ وَقْدِ

هَمَسَتْ نَجْمَةٌ بِأُذُنِ أَخِيهَا هَمْسَ ثَغْرِ النَّدَى بِمِسْمَعٍ وَرْدِ
مَا تَرَى يَا أَخِي شَخْصًا عَلَى الْغُبِّ رَاءَ يَمَشِي لَكِنْ عَلَى غَيْرِ قَصْدِ

مِثْلَ قَايِنَ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ يَقْطَعُ الْأَرْضَ بَيْنَ رَهْوٍ وَوَخْدٍ
خَافِقَ الْقَلْبِ كَالْأَثِيمِ عَلَى النَّظْمِ يَرَى الْمَوْتَ لَامِعًا فِي الْفَرِيدِ
لَهْفَ نَفْسِي فَقَلْبُهُ مِثْلُ قَلْبِي يَتَلَطَّى وَسُهِدُهُ مِثْلُ سُهْدِي
أَيُّ شَيْءٍ فِي النَّاسِ هَذَا أَفِيهِ لَكَ قَبْلًا أَخِيَّ سَابِقُ عَهْدِي؟

حَفِظَ اللَّهُ قَلْبَ أُخْتِي مِنَ الْحُبِّ فَهَذَا فِي الْحُبِّ أَصْغَرُ عَبْدٍ

١٩١٢





قُلْتُ أَهْوَاكَ يَا مَلَاكِي

أَتَرَى يَذْكُرُونَهُ أَمْ نَسُوهُ هُمْ سَقَوْهُ الْهَوَى وَهُمْ أَسْكُرُوهُ
عَلَّلُوهُ فَكَانَ أَقْتَلَ شَيْءٌ ذَلِكَ الصَّدُّ بَعْدَ مَا عَلَّلُوهُ
عَمَرَكَ اللَّهُ هَلْ عَرَفْتَ فُؤَادًا كَفُوءًا دِي عَلَيْهِ جَارَ ذَوُوهُ
لَيْتَهُمْ يَذْكُرُونَ لَيْلَةَ كُنَّا وَالْهَوَى نَحْنُ أُمُّهُ وَأَبُوهُ
وَعُيُونُ النُّجُومِ تَرْنُو إِلَيْنَا وَلِسَانُ الدُّجَى يَكَادُ يَفُوهُ
وَالنَّسِيمُ الْخَفِيفُ يَلْهُو بِشَوْبَيْدِ—نَا كَطِفْلِ أَهْلُوهُ مَا هَذَبُوهُ
وَرَشَفْنَا كَأْسَ الْحَمِيَا فَبَاحَتْ بِالَّذِي فِي الصَّدُورِ مِنَّا الْوُجُوهُ

قُلْتُ أَهْوَاكَ يَا مَلَاكِي فَرَدَّتْ مُقْلَتَاهُ لَكِنْ تَلَعَّمَتْ فُوهُ



صدّاح !

صدّاحُ يا مؤنّسَ هذا الأراك، مالي أراكُ تشدّو فسيحانَ الذي قد بَرَكَ
تستقبلُ الفجرَ بصوتٍ رَخيمٍ يُحيي الرّميمَ
وتلثمُ الزّهرَ بثغرٍ بسيمٍ لثمَ النّسيمِ
أما ومن جَوْهرَ بالسّحرِ فاك، حينَ اصطفاكُ لم يصفُ هذا الرّوضُ لولا صفّاكُ
صفّقْ كما شئتَ بهذا الجناحِ فلا جناحَ
وشمّ خدّ الزّهراتِ الصّباحِ فهو مباحُ
فالرّوضُ لم يخبترْ مليكاً سواكُ، فأنشروا لوكُ فكلّنا مجاهدٌ في هَواكُ
مرّ هذه الأطيّار أنْ تُنشدا فتُنشدا
مرّ هذه الأقمار أنْ تسجدا فتسجدا
وبعدُ فافعلْ ما تشا في فتاكُ، فشفتاكُ حسبي فماذا تبتغي مُقلّتكُ



الْعُيُونُ

الآبيات الموضوعة بين قوسين صغيرين معربة
حرفيا عن الشاعر الفرنسي سوللي بريدوم .

أَيْنَمَا كُنْتَ كَانَ لِلْكَهْرَبَاءِ أَثَرٌ فِي النُّفُوسِ وَالْأَهْوَاءِ
مَا عَجِيبٌ وَمُقَلَّتْكَ ظِلَامٌ أَنْ تَكُونَا مُسْتَوْدَعًا لِلضِّيَاءِ
تَنْسُجَانِ الْحَيَاةَ حِينًا وَحِينًا تَنْسُجَانِ الْمَمَاتَ لِلْأَحْيَاءِ

« يَا عُيُونًا وَلَسْتُ أَفْرِقُ فِيهَا بَيْنَ زُرْقِ الْعُيُونِ وَالسَّوْدَاءِ »
لَيْسَ فِيهَا إِذَا اعْتَلَتْ فَوْقَ عَرْشِ الْخَدِّ غَيْرُ الْمَلِيحَةِ الْحَسَنَاءِ
أَمْرَاتٌ كَانَهَا وَارِثَاتُ الْمُلْكِ مِنْ عَهْدِ أُمَّنَا حَوَّاءِ
فَكَانَ الْقُلُوبَ بَعْضُ عَبِيدٍ وَكَانَ النُّفُوسَ بَعْضُ إِمَاءِ

« بَعْضَ هَذَا فِكْمَ عُيُونِ حِسَانٍ كَمَ عُيُونِ شَاهِدِنَ وَجْهَ ذُكَا »
« غِبْنِ فِي الْقَبْرِ بَيْنَا الشَّمْسُ لَا تَنْفَكُ تَجْرِي فِي الْقُبَّةِ الزَّرْقَاءِ »

« كَمْ لَيَالٍ أُرَقَّ مِنْ وَجَنَةِ الْفَجْرِ وَأَحْلَى مِنْ مَبْسَمِ الْعُذْرَاءِ »
« شَاهَدَتْهَا الْعُيُونُ مُنْبَهَرَاتٍ بِلَايِ نُجُومِهَا الزَّهْرَاءِ »

« لَا . سَتَبْقَى تِلْكَ الْعُيُونُ وَيَبْقَى مَا بَتِلَكَ الْعُيُونِ مِنْ لَأَلَاءِ »
« أَفْتَفَنِي ؟ كَلَّا . لَتَعْجُزُ عَنْهَا وَهِيَ رَمَزُ الْحَيَاةِ كَفُّ الْفَنَاءِ »
« لَفَتَتْ عَنْكَ فِي الثَّرَى نَاطِرِيهَا نَحْوَ مَا لَا تَرَاهُ عَيْنُ الرَّائِي »

« هَلْ رَأَيْتِ النُّجُومَ تَغْرُبُ فِي الْأَفْـقِ وَتَبْقَى مُقِيمَةً فِي السَّمَاءِ »
« هَكَذَا تَغْرُبُ الْعُيُونُ وَتَبْقَى فِي سَمَاءِ الْحَيَاةِ ذَاتَ سَنَاءِ »

« إِنَّ تِلْكَ الْعُيُونَ زُرْقًا وَسُودًا فِي خُدُودِ الْمَلِيحَةِ الْهَيْفَاءِ »
« أَبَدًا لَا تَزَالُ مُنْفَتِحَاتٍ فِي فَسِيحٍ مِنَ الصُّحَى الْوَضَاءِ »
« فَهِيَ إِنْ أُغْمِضَتْ فَمِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ سَتَرْنُو لِجَانِبِ فِي الْفَضَاءِ »



يَا حَسَانَ الْعُيُونِ لُطْفًا وَرِفْقًا بِقُلُوبِ الْخَلَائِقِ الْأَبْرِيَاءِ
كُلُّ شَيْءٍ لَهُ زَوَالٌ وَيَبْقَى بَعْدَ هَذَا الزَّوَالِ حُسْنُ الثَّنَاءِ
أَنْتِ رَمَزُ الْحَيَاةِ أَنْتِ حَيَاةُ الرَّمْزِ سِرُّ الشَّقَاءِ سِرُّ الْهِنَاءِ
هَبَّةُ اللَّهِ لِلْجَمَالِ وَنُعْمَى هَبَطَتْ مِنْ عَلٍ عَلَى الشُّعْرَاءِ

١٩١٤



مَاذَا أَقُولُ لَهُ

معربة بتصريف عن الشاعر مترلنغ .

مَاذَا أَقُولُ لَهُ إِذَا رَجَعَا يَوْمًا وَلَمْ يُبْصِرْكَ فِي الْقَصْرِ
— مَاتَتْ عَلَيْكَ أَسَى ، أَجِيْبِيهِ

وَإِذَا رَأَيْتُ الْحُزْنَ مُنْطَبِعًا فِي وَجْهِهِ الذَّائِي مِنَ الْقَهْرِ
— كُونِي لَهُ أَخْتًا وَعَزِيْهِ

وَإِذَا تَرَقَّقَ لِي لَيْسْتَمَعًا مَا قُلْتَ سَاعَةَ نَزْعِكَ الْمُرِّ
— قَوْلِي لَهُ ابْتَسَمْتُ فَتُسْلِيهِ

وَإِذَا أَرَادَ بَأْنُ نَسِيرٍ مَعًا لِلْقَبْرِ كَيْ يَبْكِي عَلَى الْقَبْرِ
— رُحْمَاكَ ابْنِ الدَّمْعِ يُؤْذِيهِ



آه يَاهِنْدُ لَو تَرِينْ

نقلتها جريدة السائح التي تصدر في نيويورك
وقد اقترحت على الشعراء معارضتها فعارضها كل
من الشعارين: « القروي » وندره حداد .

آه يَا هِنْدُ لَوْ تَرِينْ مَوْقِفِي بَيْنَ حَائِطَيْنِ
لَا يَحِيرَانِ آخِرَسَيْنِ وَعَلَى الْخَدِّ دَمْعَتَيْنِ
لَوْ تَرِينْ

أَنْصَفَ اللَّيْلِ وَالْأَنَامِ كُلُّهُمْ كُلُّهُمْ نِيَامِ
وَأَنَا يَشْهَدُ الْغَرَامُ بَعْتُ لِلشَّهْدِ نَاطِرِينَ
غَالِيَيْنِ

أَبْدًا سَاهِرٌ كَثِيبٌ لَا صَدِيقٌ وَلَا حَبِيبٌ
وَمَعَ اللَّيْلِ لِي نَحِيبٌ كَنَحِيبِ الْحَمَامَتَيْنِ
بَعْدَ بَيْنِ

وَلَقَدْ خِمْ السُّكُونُ وَنُجُومُ السَّمَاءِ عُيُونُ

فَتَمَنَيْتُ أَنْ نَكُونَ فِي سَمَا الْحُبِّ نَجْمَتَيْنِ

جَارَتَيْنِ

لَيْتَنَا وَالْهَوَى أَمَانُ بِالْجَنَاحَيْنِ طَائِرَانِ
كَلَّمَا ضَمَمْنَا مَكَانُ ضَمَّ قَلْبَيْنِ عَاشِقَيْنِ
سَائِحَيْنِ

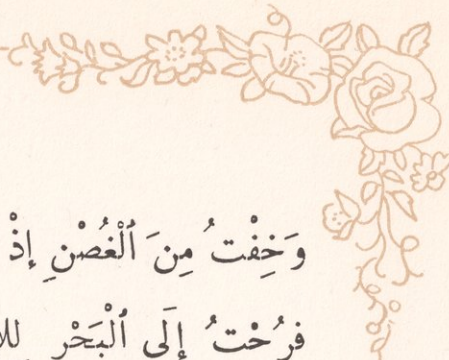
يَا لِأَخْلَامِي الْعَذَابُ ذَابِلَاتٍ مَعَ الشَّبَابِ
فَكَأَنَّ الْمُنى ضَبَابُ يَتَلَاشَى بِنَفْخَتَيْنِ
إِثْنَتَيْنِ

لَمْ يَعْذُ فِي السَّرَاجِ زَيْتُ وَكَمَا يَنْطَفِي انْطَفَيْتِ
فَأَنَا الْآنَ مِثْلُ مَيْتٍ مَالَهُ غَيْرُ سَاعَتَيْنِ
لَوْ تَرَيْنِ



هِنْدُ وَأُمُّهَا

أَتَتْ هِنْدُ تَشْكُو إِلَى أُمِّهَا فَسُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ النِّيرَيْنِ
فَقَالَتْ لَهَا — إِنَّ هَذَا الضُّحَى أَتَانِي وَقَبَّلَنِي قُبْلَتَيْنِ
وَفَرَّ فَلَمَّا رَأَى الدُّجَى حَبَانِي مِنْ شَعْرِهِ خُصْلَتَيْنِ
وَمَا خَافَ يَا أُمَّ بَلْ ضَمَّنِي وَأَلْقَى عَلَى مَبْسَمِي نَجْمَتَيْنِ
وَذَوَّبَ مِنْ لَوْنِهِ سَائِلًا وَكَحَلَّنِي مِنْهُ فِي الْمُقْلَتَيْنِ
وَجِئْتُ إِلَى الرَّوْضِ عِنْدَ الصَّبَاحِ لِأَحْجُبَ نَفْسِي عَنْ كُلِّ عَيْنِ
فَنَادَانِي الرَّوْضُ يَا رَوْضَتِي وَهُمْ لِيَفْعَلَ كَالْأَوْلَيْنِ
فَخَبَّأْتُ وَجْهِي وَلَكِنَّهُ إِلَى الصَّدْرِ يَا أُمَّ مَدَّ الْيَدَيْنِ
وَيَا دَهْشَتِي حِينَ فَتَحْتُ عَيْنِي وَشَاهَدْتُ فِي الصَّدْرِ رُؤْمَانَتَيْنِ
وَمَا زَالَ بِي الْغُصْنُ حَتَّى اُنْحَنَى عَلَى قَدَمِي سَاجِدًا سَجْدَتَيْنِ
وَكَانَ عَلَى رَأْسِهِ وَرْدَتَانِ فَقَدَّمَ لِي تَيْنِكَ الْوَرْدَتَيْنِ



وَحَفْتُ مِنَ الْغُصْنِ إِذْ تَمَتَّتْ بِأَذْنِي أَوْزَاقَهُ كَلِمَتَيْنِ
فَرُخْتُ إِلَى الْبَحْرِ لِلْإِبْتِرَادِ فَحَمَلَنِي وَيَحَهُ مَوْجَتَيْنِ
فَمَا سِرْتُ إِلَّا وَقَدْ ثَارَتَا بَرْدِيَّ كَالْبَحْرِ رَجْرَاجَتَيْنِ
هُوَ الْبَحْرُ يَا أُمَّ كَمْ مِنْ فَتَى غَرِيقٍ وَكَمْ مِنْ فَتَى بَيْنَ بَيْنِ
فَهَا أَنَا أَشْكُو إِلَيْكَ الْجَمِيعَ فَبِاللَّهِ يَا أُمَّ مَاذَا تَرَيْنِ

فَقَالَتْ ، وَقَدْ ضَحِكْتَ ، أُمُّهَا وَمَاسَتْ مِنَ الْعُجْبِ فِي بُرْدَتَيْنِ
عَرَفْتُهُمْ وَاحِدًا وَاحِدًا وَذُقْتُ الَّذِي ذُقْتَهُ مَرَّتَيْنِ

١٩١٤





... ولما رأني الدجى حبابي من شعره خصلتين
وما خاف يا أم بل ضمني وألق على مبسمي نجمتين

(صفحة ٤٧)



From the top of the mountain
the view is very fine
(1871)



الصَّوْتُ مَوْهَبَةُ السَّمَاءِ

قالها على أثر صدور الأمر بإقفال جريدته .

يا هندُ قد أَلِفَ الْخَمِيلَةَ بَلْبِلُ
هُوَ شَاعِرُ الْأَطْيَارِ لَا مُتَكَبِّرُ
تَتَعَشَّقُ الْأَزْهَارُ عَذْبَ غِنَائِهِ
وَالْغَصْنُ وَالْأَوْرَاقُ آذَانُ لَهُ
وَإِذَا الضُّحَى لَمَعَتْ بَوَارِقُ ثَغْرِهِ
فَسَمِعَتْ لِلْأَطْيَارِ مُوسِيقَى عَلَى
وَالصَّوْتُ مَوْهَبَةُ السَّمَاءِ فَطَائِرُ
يَشْدُو فَتَضْطَفِقُ الْغُصُونُ وَتَطْرَبُ
صَلَفٌ وَلَا هُوَ بِالْأَمَارَةِ مُعْجَبُ
فَإِذَا شَدَا فَبِكُلِّ ثَغْرِ كَوْكَبُ
مَاذَا تَرَى فِيهَا النِّسِيمُ يُتَبَتَّبُ
نَادَى بِأَجْنَادِ الطَّيُورِ تَاهَبُوا
نِعْمَاتِهَا يَأْتِي النَّهَارُ وَيَذْهَبُ
يَشْدُو عَلَى غُصْنٍ وَآخَرُ يَنْعَبُ

يا هندُ إِنِّي كَالْهَزَارِ فَإِنْ يَكُنْ
هُوَ مُذْنِبًا فَأَنَا كَذَلِكَ مُذْنِبُ

١٩١٢

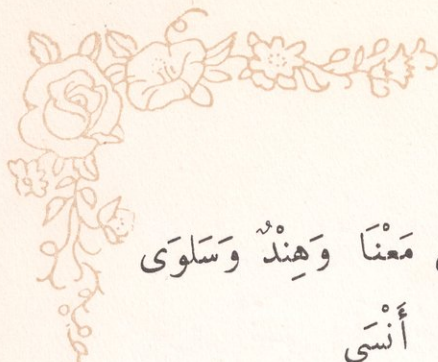
كَيْفَ أَنْسَى

كَيْفَ أَنْسَاكَ يَا خَيَالَاتِ أُمِّسِي ذِكْرِيَّاتُ الصَّبَا وَأَخْلَامُ نَفْسِي
كَيْفَ أَنْسَى الْأَيَّامَ صَفْوًا وَأَنْسَا كَيْفَ أَنْسَى

مَيِّ هَلَّا ذَكَرْتَ تِلْكَ السَّنِينَ بِأَبِي أَنْتِ كَيْفَ لَا تَذْكُرِينَا
«كَمْ نَشَقْنَا تَقَى هُنَاكَ وَقُدْسًا» كَيْفَ أَنْسَى

أَفَلَا تَذْكُرِينَ ذَاكَ الْغَدِيرَا وَالْأَفَانِينَ حَوْلَهُ وَالزُّهُورَا
«وَالسُّنُونُو يُحَدِّثُ الْمَاءَ هَمْسًا» كَيْفَ أَنْسَى

أَفَلَا تَذْكُرِينَ عِنْدَ الْمَغِيبِ يَوْمَ وَافَتْ «سَلَمَى» كَطَائِرٍ غَرِيبِ
فَأَرَتْنَا إِذْ غَابَتِ الشَّمْسُ شَمْسًا كَيْفَ أَنْسَى



يَوْمَ كُنَّا فِي الْحَقْلِ نَمْرَحُ زَهْوًا
وَسُلَيْمَى مَعَنَا وَهِنْدٌ وَسَلَوَى
فَصَرَفْنَا النَّهَارَ قَطْفًا وَغَرْسًا
كَيْفَ أَنْسَى

يَوْمَ كُنَّا نَقْرَأُ هِجَاءَ «وَكَرْجًا»
وَسُلَيْمَى تَمْخُو الْأَسَاطِرَ غُنْجًا
وَهِيَ تُتْلِي عَلَيَّ فِي الْحُبِّ دَرْسًا
كَيْفَ أَنْسَى

يَوْمَ سَمَّى الرَّفَاقُ سَلَمَى الْعَرُوسَا
وَأَرَادُوا بِأَنْ أَكُونَ «الْعَرِيسَا»
فَاعْتَنَقْنَا وَقَدْ جَعَلْنَاهُ عُرْسًا
كَيْفَ أَنْسَى

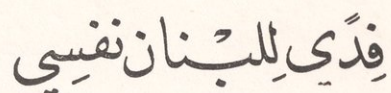
كَيْفَ أَنْسَى وَقَدْ كَبِرْنَا قَلِيلًا
وَذَكَّرْنَا مَا كَانَ ذِكْرًا جَمِيلًا
وَعَرَفْنَا الدُّنْيَا نَعِيمًا وَبُؤْسًا
كَيْفَ أَنْسَى

لَسْتُ أَنْسَى مَا عِشْتُ يَوْمَ الْفِرَاقِ
وَجِرَاحًا حُمْرًا بِتِلْكَ الْمَاقِ
وَبُكَاهَا وَقَوْلَهَا سَوْفَ تَنْسَى
كَيْفَ أَنْسَى

مَنْ مُعِيدٌ إِلَيَّ ذَاكَ الزَّمانَ وَمُعِيدٌ سَلَمِي إِلَيَّ أَلَا نَا
لَتَرَى أَنَّنِي وَقَدْ مِتُّ يَا سَا لَسْتُ أَنْسَى

١٩١٤





من قصيدة قالها عندما تقدم بعض اللبنانيين سنة ١٩١٤ من الدولة العثمانية بمطالب الإصلاح .

فَدَىٰ لِلْبُنَانِ نَفْسِي وَصَبَوْتِي وَغَـ رَامِي
لِمَنْبَتِ الشَّيْحِ فِيهِ وَمَسْـ رَحِ الْآرَامِ
هُنَاكَ سَيْنَا التَّجَلِّي وَمَهْـ بَطُ الْإِلَهَامِ

يا سَائِلِي عَنْ بَنِيهِ سَأَلَتْ نَفْسَ حَذَامٍ
لَكِنْ إِذَا رِشْتُ سَهْمِي فَجَارِحَاتِي سِهْ—امي
قَالُوا (اَلْمَطَالِب) لَكِنْ مَاذَا جَنَوْنَا فِي اَلْخِتَامِ
أَتَتْ نَوَاقِصَ وَالْحُسْنُ كُلُّهُ فِي اَلتَّمَامِ
مَتَى أَرَاكُمْ تَكْرُؤُونَ كَرَّةً لِلْأَمَامِ
وَتَلْبَسُونَ إِلَى اَلْحَقِّ خُوْذَةَ اَلْإِقْدَامِ
وَتَذْرُسُونَ عَلَى اَلْمِجْدِ كُرَّةَ اَلْاِسْتِرْحَامِ

عَيْشُ الْكِرَامِ مِنَ النَّاسِ غَيْرُ عَيْشِ اللُّثَامِ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مَلَامَةَ اللُّثَامِ

.....
مَجْدُ السِّنِينَ الْخَوَالِي لَا يُسْتَبَاحُ بَعَامِ





أَنَا لَوْ كُنْتُ يَا سُلَيْمَى

مقتبسة عن الإفرنسية .

أَنَا لَوْ كُنْتُ يَا سُلَيْمَى نَسِيمًا لَقَطَعْتُ الرَّبِّي وَجُبْتُ السُّهُلَا
وَحَمَلْتُ الْهَوَى إِلَيْكَ جَرِيحًا وَتَرَامَيْتُ فِي يَدَيْكَ عَلِيلًا
غَيْرَ أَنِّي كَمَا عَلِمْتَ ضَعِيفٌ حَمَلْتُهُ الْأَيَّامُ عِثًّا ثَقِيلًا
إِنَّ مَا يَقْدِرُ النَّسِيمُ عَلَيْهِ بَاتَ صَعْبًا عَلَيَّ بَلْ مُسْتَحِيلًا

أَنَا لَوْ كُنْتُ يَا سُلَيْمَى خَيَالًا لَطَوَيْتُ الْأَفَاقَ مِيلًا فَمِيلًا
وَأَنْتَزَعْتُ النُّجُومَ أَنْظُمَهَا عِقْدًا وَإِنْ شِئْتُ صَغُفْتُهَا إِكْلِيلًا
غَيْرَ أَنِّي وَإِنْ أَكُنْ ذَا جَنَاحٍ فَجَنَاحِي بِالْذَّمْعِ بَاتَ بَلِيلًا
إِنَّ مَا يَقْدِرُ الْخَيَالُ عَلَيْهِ بَاتَ صَعْبًا عَلَيَّ بَلْ مُسْتَحِيلًا



فراشة في ورده

رَضِيتُ وَقَدْ ذَهَبَ الْجَفَا وَكَذَا الْهُوَى لَيْنٌ وَشِدَّةُ
وَتَبَسَّمتُ فَعَلِمْتُ أَنَّ رَجَعْتَ لَنَا تِلْكَ الْمَوَدَّةُ
وَرَمَى الْهُوَى بِي فَأَرْتَمَيْتُ وَكَانَ نَهْدَاها الْمِخْدَةُ
فَأَنَا بِصَدْرِ حَبِيبَتِي كَفَرَاشَةٍ فِي قَلْبٍ وَرْدَةٍ

مَدَدُ اللَّهِ مَدَدٌ

وَقَفَّةٌ كَانَتْ لَنَا يَوْمَ النَّوَى صَحْتُ فِيهَا مَدَدُ اللَّهِ مَدَدُ
وَلَقَدْ كُنَّا وَمَا كُنَّا سِوَى مَثَلَا يَسْتَجْمَعُ الْعَيْنِينَ خَدُ
أَوْ جَنَاحِي طَائِرٍ رَوَّعَهُ شَرَكُ الصَّيَّادِ يَوْمًا فَشَرَدُ



لجَامِ الْأَدَبِ

تَشَتَّتْ فَيَا خَجَلْتَا لِلْغُصُونِ وَغَنَّتْ فَيَا خَجَلْتَا لِلتَّقَصُّبِ
وَجَالَتْ عَلَى صَدْرِهَا مَوْجَةً فَهَاجَ لَهَا نَهْدُهَا وَأُضْطَرَّبَ
يَهُمُّ لِيَسْبِقَهَا بِالْوُثُوبِ فَتُلْجِمُهُ بِلِجَامِ الْأَدَبِ

غِيْرَةٌ

الْغَرَامُ مَجْمَعَةٌ وَالْأَتْرِبُ الشَّرَرُ
لَا يَنَامُ صَاحِبُهُ فَهُوَ خَائِفٌ حَذِرُ
غَفْوَةٌ يُحَاوِلُهَا وَالظُّنُونُ تَنْتَهَرُ



بهذه المقاطع ينتهي ما اختاره الشاعر من قصائد
المرحلة الأولى وضعاً وتعريباً واقتباساً لغاية
سنة ١٩١٤ ليبدأ بالقصائد التي نظمها خلال
الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد ذلك .

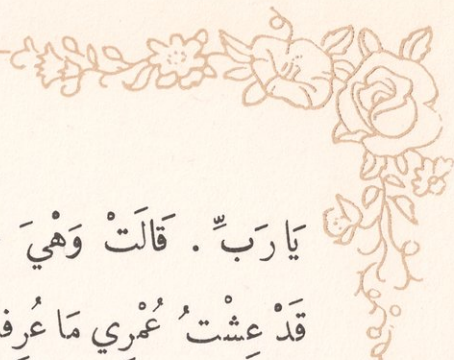


الرَّيَالِ الْمُزَيَّفِ

وقعت هذه الحادثة في أوائل السنة الثانية من الحرب العالمية الأولى فأفرغها الشاعر في هذه القصيدة .

وَيْحَ الْفَقِيرِ فَمَا تَرَاهُ يُيَلِّقِي سُدَّتْ عَلَيْهِ مَنَافِذُ الْأُرْزَاقِ
عَصَفَتْ بِهِ وَبَسِرْ بِهِ رِيحُ الشَّقَا فَتَسَاقَطُوا كَتَسَاقُطِ الْأُورَاقِ
فَإِذَا بَصُرْتَ بِهِ عَجِبْتَ لِشَمْعَةٍ كَالزَّغَرَانِ تَجُولُ فِي الْأُسْوَاقِ
عَلَقُ الْمَجَاعَةِ مَصَّ بَعْضَ دِمَائِهِ وَتَعَسَّفُ الْحُكَّامُ مَصَّ الْبَاقِي

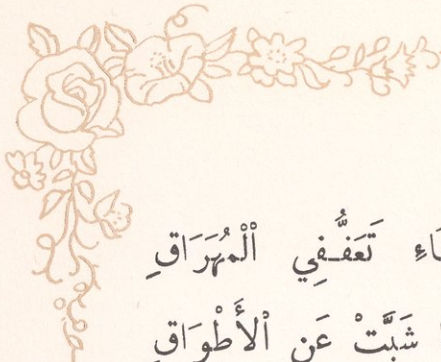
أَخَذَ الشَّقَا يَدَهَا فَسَارَتْ خَلْفَهُ وَاللَّيْلُ مَمْدُودٌ عَلَى الْأَفَاقِ
سَارَتْ، فَمَاسَ الْخَيْرُ زَانَ بِقَدَّهَا وَرَنْتْ، فَذَابَ السَّحَرُ فِي الْأَحْدَاقِ
وَتَلُوحُ آثَارُ النَّعِيمِ بِخَدَّهَا كَالْفَجْرِ قَبْلَ تَكَامُلِ الْإِشْرَاقِ
أَخَذَ الشَّقَا يَدَهَا فَإِنْ هِيَ فَكَّرَتْ بِمَصِيرِهَا صُعِقَتْ مِنَ الْإِشْفَاقِ
وَوَهَتْ عَزِيمَتَهَا فَأَلْقَتْ نَفْسَهَا فَوْقَ الثَّرَى وَشَكَتْ إِلَى الْخِلَاقِ
تَشْكُو بِمَدْمَعِهَا وَذُلَّ فُؤَادِهَا وَبِمَا تُحِسُّ بِهِ مِنَ الْإِحْرَاقِ



يَا رَبِّ . قَالَتْ وَهِيَ جَائِيَةٌ لَهُ
قَدْ عِشْتُ عُمْرِي مَا عُرِفْتُ بِرَيْبَةٍ
وَالآنَ وَالْآيَّامُ مَلَأَى بِالْأَذَى
زَوْجِي يُحَارِبُ فِي التُّخُومِ وَطِفْلَتِي
مِنْ أُمِّهَا تَبْغِي الْغِذَاءَ لِجِسْمِهَا
وَطَلَرْتُ أَبْوَابَ الْكَرَامِ فَأَوْصَدُوا
إِنَّ شِئْتَ حُلَّ مِنْ الْحَيَاةِ وَثَاقِي
وَعَبَدْتُ بَعْدَكَ عِفَّتِي وَخَلَاقِي
قَدْ أَصْبَحْتُ وَقَرَأَ عَلَى الْأَعْنَاقِ
فَوْقَ الْفِرَاشِ تَزِيدُ فِي إِرْهَاقِي
مِنْ أُمِّهَا تَبْغِي الْغِذَاءَ لِجِسْمِهَا
أَبْوَابَهُمْ فَرَجَعْتُ بِالْإِخْفَاقِ ...

سَامَ الْفَتَى عِرْضِي فَيَا لَكَ مِنْ فَتَى
هَبْ أَنْ أُحْتَكَ وَالزَّمانُ أَصَابَهَا
أَفْكَانَ سَرَّكَ أَنْ تَرَى إِحْسَانَهُ
خَفَّفَ عَلَى عُنْقِي الضَّعِيفَةَ وَاتَّيَدَ ،
إِنَّ الرِّيَالَ غِنَى وَلَكِنْ عِفَّتِي
كَاسِي الْغِنَى عَارٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ
مِثْلِي أَصَابَتْ سَافِلَ الْأَعْرَاقِ
ثَمَنَ الْعَفَافِ لِضْمَةٍ وَعِناقِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ أَخِذًا بِخِنَاقِي
فَوْقَ الْغِنَى وَنَفَائِسِ الْأَعْلَاقِ

أَأَصُونُ عِرْضِي؟ وَأُبْنِتِي؟ وَحَيَاتُهَا
وَعِلَاجُهَا ————— يَحْتَاجُ لِلْإِنْفَاقِ



أَنَا إِنِ اعْفَ قَتَلْتُهَا فَعَلَامَ لَا تَحْيَا بِمَاءِ تَعْفُفِي الْمُهْرَاقِ
لَا . لَا تَمُوتُ فَإِنَّهَا لَبْرِيئَةٌ حَسَنَاءُ مَا شَبَّتْ عَنِ الْأَطْوَاقِ
إِنِّي مُفَارِقَةٌ ابْنَتِي أَوْ عَفَّتِي فَعَلَى كَلَا الْحَالَيْنِ مَرُّ فِرَاقِ
وَالذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ فِي حَدَثَانِهَا وَالذَّنْبُ لِلْأَخْلَاقِ غَيْرَ رَوَاقِ

رَبَّاهُ حِلْمَكَ فَالْمَصَائِبُ جَمَّةٌ وَأَنَا بِوَاحِدَةٍ يَضِيقُ نِطَاقِي
لَوْ شِئْتُ مَوْتًا لِابْنَتِي لِأَخَذْتُهَا وَجَعَلْتُ طَهْرِي قُدُوءَةً لِرِفَاقِي
لَكِنْ أَرَدْتُ بَقَاءَهَا وَأَرَدْتُ لِي فَقْرِي . أَتُظْمِئُنِي وَأَنْتَ السَّاقِي ؟
سَتَعِيشُ بِنْتِي وَلَيْكُنْ مَا شِئْتَهُ سَتَعِيشُ ... لَكِنْ مِنْ لَهَى الْعُشَّاقِ
وَمَشَتْ لِمَوْعِدِهِ بِمَاءِ جُفُونِهَا الْقَرَحَى وَجَرَّ فُؤَادُهَا الْخَفَّاقِ
لَوْ صَوَّرُوا اللُّؤْمَ الذَّمِيمَ فَمَثَلُوا « ذَاكَ الْفَتَى » عُدُّوا مِنْ الْحَذَّاقِ
تَرَعَى السَّفَالَةَ فِي بَجَاهِلِ قَلْبِهِ وَتُطِلُّ إِنْ شَبِعَتْ مِنَ الْآمَاقِ
وَمَتَى يُحَاوِلُ حَجَبَ مَكْنُونَاتِهِ يُلْبِسُ مُحْيَاهُ حِجَابَ نِفَاقِ
قَنْصَ الْفَتَاةِ بِفَقْرِهَا وَشَقَائِهَا « وَبِمَا تُكَابِدُ مِنْ أَسَى وَتُلَاقِي »

حَتَّى إِذَا اخْتَلَيْتُمَا أَنْثَى بِوَصَالِهَا وَقَدْ انْتَنَتْ بِرِيَالِهِ الْبَرَّاقِ

رَجَعَتْ وَفِي يَدِهَا الرِّيَالُ وَرَأْسُهَا لِحْيَاهَا مُتَوَاصِلُ الْإِطْرَاقِ
وَكَأَنَّهَا خَطَرَتْ لَهَا أَبْنَتُهَا وَمَا تَلْقَاهُ مِنْ أَلَمِ الطَّوَى الْمُقْلَاقِ
فَأَصَابَهَا مِثْلُ الْجُنُونِ فَتَمَتَّتْ بُشْرَاكِ إِيَّيْ عُدْتُ بِالْتَّرْيَاقِ
هُوَذَا الرِّيَالُ فَإِنَّهُ نِعْمَ الَّذِي يَهَبُ الشِّفَاءَ لَنَا وَنِعْمَ الرَّاقِي
هُوَذَا الرِّيَالُ وَقَدْ تَأَلَّقَ مَاحِقُ دُجْنِ الْهُمُومِ وَقَدْ أَرَدَنْ مُحَاقِي
هُوَذَا الرِّيَالُ وَلَمْ يَكُنْ لَوْلَا أَبْنَتِي لَيْسُومَنِي نُكْرًا عَلَى الْإِطْلَاقِ

وَمَضَتْ إِلَى الطَّبَاحِ تُدْجِمُ مَا بِهَا لِفَتَاتِهَا مِنْ لَاعِبِ الْأَشْوَاقِ
قَالَتْ - وَأَدَّتْهُ الرِّيَالُ - أَلَا أَعْطَانِي بَعْضَ الْغِذَا وَأَرَدْتُ عَلَيَّ الْبَاقِ
أَسْرِعْ فَإِنَّكَ إِنْ تَوَخَّرْتَنِي تَذُقْ مِنْ جُوعِهَا بِنْتِي أَمْرًا مَذَاقِ

نَقَفَ الرِّيَالُ بِاصْبَعَيْهِ وَجَسَّهُ وَأَنْهَالَ بِالْإِرْعَادِ وَالْإِبْرَاقِ



قُبْحًا لَوْجِهِكِ... سَيِّدِي أَتَسُبُّنِي عَفْوَاً وَتَحْسُبُنِي مِنَ السَّرَّاقِ ؟
- لا . فالرَّيَالُ مُزَيَّفٌ .. - أَمْزَيَّفٌ ؟ صَاحَتْ وَقَدْ سَقَطَتْ مِنَ الْإِرْهَاقِ

سَقَطَتْ عَلَى قَدَمِ الشَّقَا فَبَكَتْ لَهَا عَيْنُ الْعَلَى وَمَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ
وَبَكَى عَفَافُ الْإِنْسَاتِ عَفَافُهَا خَلَلَ السَّجُوفِ بِمَدْمَعِ مَهْرَاقِ
يَا طَيْرَ عِفَّتِهَا فَدَيْتُكَ طَائِرًا هَلَّا حَذِرْتَ حَبَائِلَ الْفُسَّاقِ

طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ سَجِينَةٌ وَفَتَاتُهَا ضَيْفٌ عَلَى الْأَسْوَاقِ
أَمَّا الْأَيْمُ فَلَا تَزَالُ شَبَاكُهُ مَنْصُوبَةً لِنَوَاعِيسِ الْأَحْدَاقِ
يُسْقَى الرَّحِيقَ بِأَكْوُسٍ وَلَوْ أَحْظِ وَاللَّهُ يَكْلَأُ - « وَهُوَ نَعَمَ الْوَاقِي »

قلب خافق

مقتبسة عن الإفرنسية

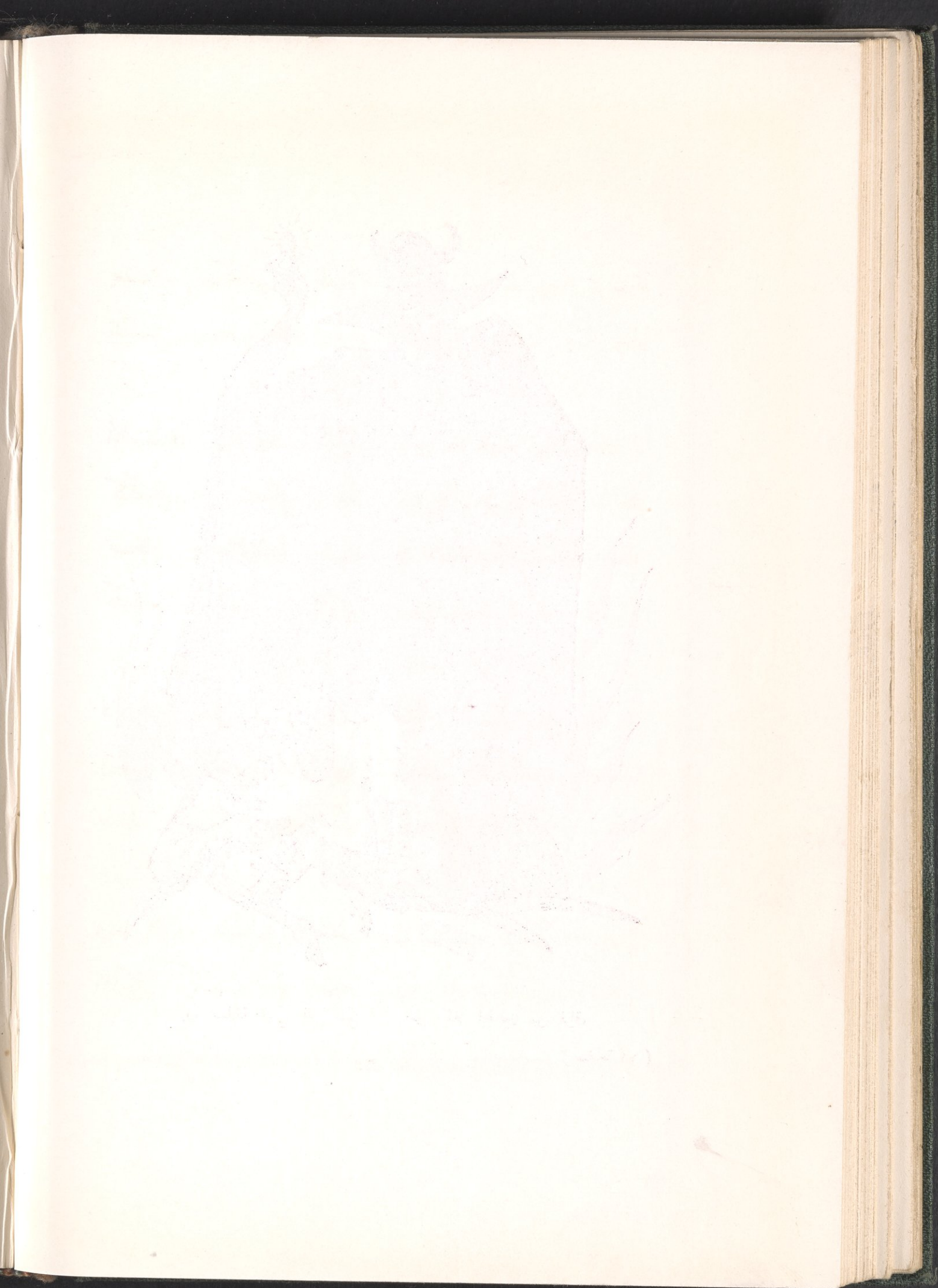
أَنَا سَاهِرٌ وَالْكَوْنُ نَا مَ وَكُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ نَامٌ
نَامَ الْجَمِيعُ وَمُقَلَّتِي يَقْظَى تَجُولُ مَعَ الظَّلَامِ
حَتَّى نُجُومُ الْأُفُقِ نَا مَتَ فَوْقَ طَيَّاتِ الْغَمَامِ

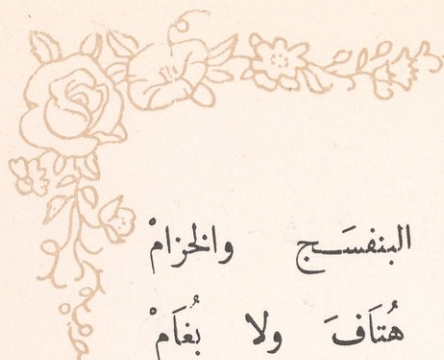
أَنَا سَاهِرٌ وَجِبَالُ لُبْنَانٍ عَلَيْهَا الصَّمْتُ حَامٌ
خَلَعَ الْجَلَالَ عَلَى مَنْأَى كِبَاهِا مَوَاهِبُهُ الْجِسَامِ
فَكَانَهَا إِذْ صَعَّدَتْ فِي الْجَوِّ مُرَادَّ عِظَامِ
صَمَمَتْ لَدُنْ بَرَزِ الدُّجَى فَكَانَ فِي فَمِهَا لِحَامِ

أَنَا سَاهِرٌ وَالسَّهْلُ فِي حِضْنِ الطَّبِيعَةِ كَالْغَلَامِ
وَكَأَمِّهِ فَتَحَتْ ذَرَا عَيْنِهَا لِيَهْنَأَ بِالْمَنَامِ



إني مفارقة ابنتي أو عفتي فعلى كلا الحالين مر فراق
(صفحة ٦١)





يَغْفُو وَيَحْرُسُ ثَغْرَهُ رُوحُ الْبَنْفَسَجِ وَالْخَزَامِ
السَّهْلُ نَامَ فَلَا حَرًّا لَكَ وَلَا هُتَافَ وَلَا بُغَامَ

أَنَا سَاهِرٌ وَالْبَحْرُ أَخْرَسُ لَا هَدِيرَ وَلَا اخْتِدَامَ
كَالْمَارِدِ الْجَبَّارِ مُنْطَرِحٌ عَلَى صَدْرِ الرَّغَامِ
فَكَأَنَّهُ وَالرُّمْلُ إِلْفًا صَبُوءٌ مُنْذُ الْفِطَامِ
فَتَعَانَقَا عِنْدَ الْمَنَا مِ وَمِلْهُ ثَغْرِهِمَا ابْتِسَامَ

لَا حِسَّ حَتَّى خِلْتَ أَنْ سَادَ الْحِمَامُ عَلَى الْأَنَامِ
وَحَسِبْتَ أَنْفَاسَ الْوَرَى سُجِنَتْ بِأَقْقَاصِ الْعِظَامِ
صَمْتُ يَقْرُوكَ فِيهِ خَبُّ النَّمْلِ فِي مَلَسِ الرَّخَامِ

فِي ذَلِكَ الصَّمْتِ الرَّهِيْبِ وَذَلِكَ اللَّيْلِ الْجَهَامِ
مَا كَانَ يَخْفُقُ غَيْرُ قَذْبٍ كَادَ يُتْلِفُهُ السَّقَامُ

قَلْبُ شَقِيٍّ فِي حَنَا يَا أَضْلَعِي اخْتَارَ الْمُقَامَ
قَلْبُ تَأْكَلُهُ الْغَرَامُ وَظِلَّ يَخْفُقُ لِلْغَرَامِ

مَا أَكْظَمَ الضَّوْضَاءَ يُخْدِشُهَا فُوْءَادُ الْمُسْتَهَامِ
إِذَا رَاحَ يَخْفِقُ وَحْدَهُ خَفَقَانِ أَجْنِحَةِ الْحَمَامِ
فِي مِثْلِ ذَا الصَّمْتِ الرَّهِيْبِ وَمِثْلِ ذَا اللَّيْلِ الْجَهَامِ

١٩١٦

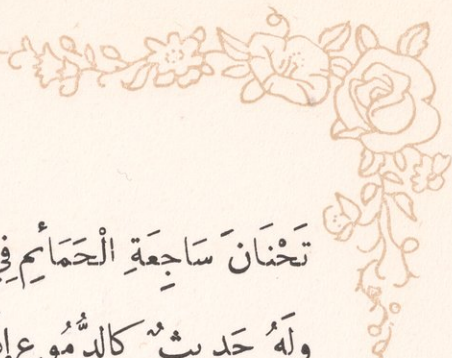


عُرْوَة وَعَفْرَاء

من وحي « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني .

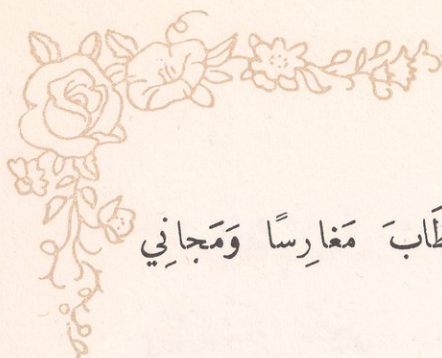
مَهْدَ الْغَرَامِ وَمَسْرَحَ الْغَزْلَانِ حَيْثُ الْهُوَى ضَرَبَ مِنْ الْإِيمَانِ
حَيَّتِكَ مِنْ أَرْوَاحِ عُرْوَةٍ نَفْحَةٍ قُدْسِيَّةٍ كَالرُّوحِ فِي الْأَبْدَانِ
أَنَا وَفْدُ أَبْنَاءِ الصَّبَابَةِ سَاجِدُ مِنْ تَرْبِ عُدْرَةٍ فِي أَذَلِّ مَكَانِ
أَسْتَنْزِلُ الْوَحْيَ الَّذِي ظَفَرَتْ بِهِ شُعْرَاهُ عُدْرَةٍ فِي الزَّمَانِ الْفَانِي
فَتَسْوِغُ فِي أُذُنِي « جَمِيلٍ » رَنْتِي وَتَطِيبُ نَفْسُ « كَثِيرٍ » بَيَّانِي

بَلَدَ الْهُوَى الْعُدْرِيَّ وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ حُبٍّ أَشْرَفَ مَجْمَعِ إِنْسَانِي
يَتَعَانَقُ الرُّوحَانِ فِيهِ صَبَابَةٌ وَيَعْفُ أَنْ يَتَعَانَقَ الْجَسَدَانِ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِعَاشِقَيْنِ فَقُلْ لَهَا مَلَكَانِ مُتَّصِلَانِ مُنْفَصِلَانِ
مَا دَارَ ثَمَّ سِوَى الْحَدِيثِ كَأَنَّهُ رَاحٌ يُدِيرُ كُؤُوسَهَا الْمَلَكَانِ
سَلْ عُرْوَةَ بَنِ حِزَامٍ عَنْ غُصَصِ الْهُوَى تَسْمَعُ جَوَابَ قَتَى الْغَرَامِ الْعَانِي



تَخْنَانُ سَاجِعَةِ الْحَمَائِمِ فِي الضُّحَى
وَلَهُ حَدِيثٌ كَالدُّمُوعِ إِذَا جَرَتْ
عَلِمَ الْهَوَى مِنْ آلِ عُذْرَةِ عُرْوَةٍ
وَزَفِيرَ أَغْوَادِ الْجَحِيمِ الثَّانِي
جَذَبَتْ نَظَائِرَهَا مِنَ الْأَجْفَانِ
كَذَبَ الْأَلَى قَالُوا لَهَا عَلَمَانِ

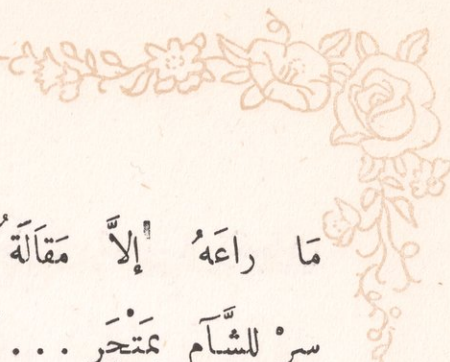
وُلِدَ الْفَتَى الْعُذْرِيُّ عُرْوَةٌ بَعْدَمَا
فَإِذَا بِعُرْوَةٍ فِي مَضَارِبِ عَمَّةٍ
عَفْرَاءُ ابْنَتُهُ مَعَ ابْنِ شَقِيقِهِ
لَمْ يَلْبَسَا رِيشَ الْهَوَى لَكِنَّمَا
وَإِذَا تَضَمُّهُمَا الْحُقُولُ فَإِنَّهَا
يَتَرَاكَضَانِ بِهَا - فَإِنَّهُمَا بُوغْتَا
وَلَطَالَمَا وَقَفَا عَلَى الْوَادِي وَقَدْ
مُزَجَّافَلَوْ خَطَرَتْ «لَعَفْرَا» فِكْرَةٌ
وَإِذَا التَّقَى النَّظْرَانِ تَلَمَّعَ أُسْطَرُّهُ
حَتَّى إِذَا كَبِرَا تَوَلَّى شَرْحَ مَا
دَارَتْ بِوَالِدِهِ رَحَى الْحَدَثَانِ
«هُصْرٍ» فَكَانَ هُنَاكَ زُغْلُولَانِ
وَكَلاهُمَا فِي الْعُمُرِ دُونَ ثَمَانِ
هُوَ رِيشُ أَحْلَامٍ وَرِيشُ أُمَانِي
ظَهَرَتْ بِمَا لَسْتَيْنِ مِنْ رِيحَانِ
فِيهَا - فَبِالْأُورَاقِ يَخْتَبِئَانِ
صَرَخَا هُنَاكَ لِيَلْتَقِيَ الصَّدْيَانِ
بَدَرَتْ بِهَا مِنْ عُرْوَةِ الشَّفَتَانِ
يَعْنِيَا بِحَلٍّ رُمُوزِهَا الْوَلَدَانِ
لَمْ يَفْهَمَا قَلْبَاهُمَا الْخَفِيقَانِ



فَإِذَا الْوَدَادُ هَوَىٰ وَصَادَفَ تَرْبَةً بِكَرًا فَطَابَ مَعَارِسًا وَمَجَانِي

وَيَنحِ الْمُحِبُّ إِذَا تَمَلَّكَهُ الْهَوَىٰ نَمَّتْ بِهِ عَيْنَانِ فَاضِحَتَانِ
عَبَثًا يُحَاوِلُ ذُو الْهَوَىٰ كُتْمَانَهُ عَبَثُ الْهَوَىٰ يَقْوَىٰ عَلَى الْكِتْمَانِ
فَدَرَىٰ بِهِ هُصْرٌ — وَكَانَ يَسُوؤُهُ مِنْ عُرْوَةِ ابْنِ شَقِيقِهِ يُتْمَانِ
وَأَهْمٌ يُشْمِي عُرْوَةً فِي عَيْنِهِ يُتِمُّ الْغِنَى — لَوْ يَسْمَعُ الْأَبْوَانِ
فَشَكَا إِلَيْهِ مِنْهُ حُبَّ فَتَاتِهِ شَفَتَانِ تَخْتَلِجَانِ تَخْتَدِلَانِ
فَأَجَابَهُ هُصْرٌ — وَكَانَ مُخَاتِلًا — سَتَنَالُ مَنْ تَهْوَى فَكُنْ بِأَمَانِ

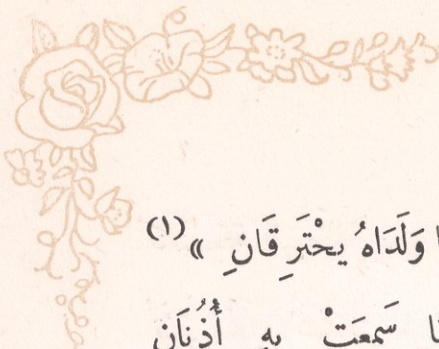
نُعْمَى عَلَى كَبِدِ الْفَتَى سَقَطَتْ كَمَا سَقَطَ النَّدَى سَحَرًا عَلَى حَرَّانِ
فَأَحَسَّ أَنَّ لَهُ جَنَاحِي طَائِرٍ وَبَدَتْ لَهُ زُهْرُ النُّجُومِ دَوَانِ
فَجَرَى يُرَقِّصُ عُودَهُ الشَّعْرِي عَلَى صَدْرِ الْمُرُوجِ وَمِعْصَمِ الْغُدْرَانِ
فَيَصُوغُ هَيْئَةً النَّسِيمِ قَصَائِدًا وَيَرُدُّ زَمْزَمَةَ الْغَدِيرِ أَغَانِي



مَا رَاعَهُ إِلَّا مَقَالَةً عَمَّهُ
سِرٌّ لِلشَّامِ بِمَتَجَرٍ... فَأَطَاعَهُ
إِنِّي أُرَاكَ عَنِ الْغِنَى مُتَوَانِي
وَعَصَى الْفُؤَادُ فَظَلَّ فِي الْأَوْطَانِ

بَيْنَا الْفَتَى فِي الشَّامِ يَكْدَحُ لِلْغِنَى
فَتَنَّتْ مَحَاسِنُهَا «أَنَالَةً» وَهُوَ مِنْ
نَسَبِ الدَّمَاءِ وَفَوْقَهُ نَسَبُ الْغِنَى
فَأَنَالَهُ عَفْرَاءَ صَفْقَةٍ تَاجِرٍ
كَأَنْتَ حَبِيبَتُهُ تُزَفُّ لِشَانِ
«هُصْرٍ» لَهُ نَسَبَانِ مُلْتَزِمَانِ
نَسَبَانِ مَحْبُوبَانِ مُحْتَرَمَانِ
حَسِبَ الْبَنَاتِ مَلَاسًا وَأَوَانِي

«مَا عَامِلٌ فِي الْحَقْلِ حَمَلٌ يَوْمَهُ
يَمْشِي لِمَنْزِلِهِ بِنَفْسٍ مُغَالِبِ
يَمْخُؤُ بِفِكْرَتِهِ عِبُوسَةً دَهْرِهِ
يَمْشِي وَمَا هُوَ إِنْ دَنَا حَتَّى رَأَى
وَرَأَى اشْتِعَالَ النَّارِ فِي أَخْشَابِهِ
«فَأَحْسَّ بِالْجُلَى فَأَسْرَعَ لَيْتَهُ
مَا لَيْسَ يَحْمِلُ مِثْلَهُ الْهَرَمَانِ
مُرَّ الشَّقَا بِحَلَاوَةِ الْوُجْدَانِ
بِتَبَسُّمٍ فِي آلِهِ وَحَنَانِ
فِي كُوخِهِ الْمَحْبُوبِ سُحْبِ دُخَانِ
وَبُكَاءِ النِّسَاءِ وَتَهَافُتِ الشُّبَّانِ
أَوْ دَى وَلَمْ تُسْرِعْ بِهِ الْقَدَمَانِ



« فَإِذَا قَرِينَتُهُ الْحَيِيْبَةُ جُثَّةٌ
مَا خَطْبُ هَذَا وَهُوَ أَهْوَلُ مَا رَأَتْ
بِأَشَدِّ مِنْ قَوْلِ الرُّوَاةِ لِعُرْوَةٍ

خَلَعَ النُّحُولُ عَلَيْهِ أَفْجَعَ مَا رَأَتْ
سَقَمٌ تَشْفُ بِهِ الضُّلُوعُ كَأَنَّهَا
فَغَدَا بِهِ مَثَلًا تَنَاقَلَهُ إِلَى

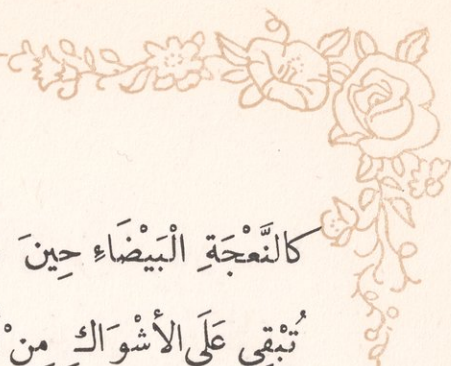
مَا حَاضِرُ الرُّوحَاءِ^(٢) دُونَ مَنَالِهِ
لِيَحُولَ دُونَ قَتَى الْهُوَى وَفَتَاتِهِ
فَمَشَى إِلَى أَرْضِ الْحَبِيبِ دَلِيلُهُ
يُذِلِّي الْقَصَائِدَ فِي الطَّرِيقِ وَحَشَوَهَا

وَوَخَدُ الشَّرَى فِي الْأَمْعَزِ الصَّوَّانِ
إِنَّ الْهُوَى ضَرَبَتْهُ مِنَ الطَّيْرَانِ
« عَيْنَانِ إِنْسَانَاهُمَا غَرِقَانِ »
أَنْفَاسُ مَكْلُومِ الْحَشَا وَلَهَانِ

(١) الأبيات التي بين هلالين عن ألفرد دي موسه .

(٢) حاضِر الروحاء بلد أثالة وذلك إشارة إلى قول عروة .

ألا فاحملاني بارك الله فيكما إلى حاضِر الروحاء ثم ذراني



كَالْعَجَّةِ الْبَيْضَاءِ حِينَ مُرُورِهَا بَيْنَ الصُّخُورِ وَشَائِكَ الْعِيدَانِ
تُبْقِي عَلَى الْأَشْوَاكِ مِنْ أَصْوَابِهَا خُصَلًا مُخَضَّبَةً بِأَحْمَرِ قَانِ

وَدَرَى أَثَالَةً أَنَّ عُرْوَةَ فِي الْحَمَى وَبِمَا بَعْرُوتَ مِنْ هَوَى وَهَوَانِ
وَأُثَالَةً رَجُلُ الْمَحَامِدِ بَيْتُهُ بَيْتُ الْعَخَارِ وَمُلْتَقَى الضَّيْفَانِ
فَأَبَتْ مُرُوءَتُهُ عَلَيْهِ أَنْ يَرَى رَجُلًا كَعُرْوَةَ مُبْعَدًا مُتَدَانِي
فَمَشَى إِلَيْهِ عَاتِبًا : أَتَكُونُ فِي بَلَدِي وَلَسْتَ لِخَيْمَتِي وَخَوَانِي
إِنِّي عَزَمْتُ عَلَيْكَ أَنْكَ نَازِلٌ عِنْدِي وَإِلَّا سَاءَ لِي حِرْمَانِي
— عُذْرًا فَإِنِّي رَاجِعٌ لِحَوَادِثِ — نَزَلْتُ بِنَا مَا كُنَّ فِي الْحُسْبَانِ
— لَا عُذْرَ . . . لَا . لَا عُذْرَ —
— أَنْظِرْنِي إِذَنْ لَعْدِ

— إِذَنْ فَجَرَّ النَّهَارَ الثَّانِي

وَتَفَارَقَا فَإِذَا بَعْرُوتَ رُجْمَةً تَهْوِي عَلَيْهَا انْقِضَ صَاعِقَتَانِ
وَأَشَارَ نَحْوَ أَثَالَةٍ بِجُفُونِهِ سَتَرَى الْمُرُوءَةَ أَنَّنَا كَفُؤَانِ



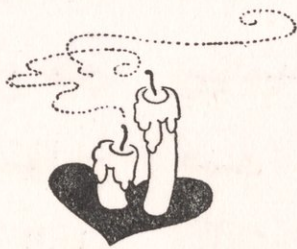
هَجَرَ الدِّيَارَ لَوْ قَتِهَ تَسْعَى بِهِ
هَجَرَ الدِّيَارَ دِيَارَ عَفْرَاءٍ الَّتِي
حَتَّى إِذَا «وَادِي الْقَرَى» رَحِبَتْ بِهِ
جُمَانُهُ فِي الْقَبْرِ لَكِنْ رُوحُهُ
قَدَمَانِ هَازِلَتَانِ شَاكِتَانِ
طَبَعَتْ حُشَاشَتَهُ عَلَى الْأَحْزَانِ
رَحِبَتْ بِشُلُو لُفٍّ فِي أَكْفَانِ
أَبَدًا مُرْفَرَفَةً عَلَى الْوُدْيَانِ

رَنَّ النَّعِيُّ بِأُذُنِ عَفْرَاءٍ فَهَلْ
لَعِبَتْ بِهِ هُوجُ الْعَوَاصِفِ فَالتَوَى
هِيَ مِثْلُهُ حَاشَا الدُّمُوعَ وَأَنَّهُ
فَآتَتْ أَثَالَةَ وَالِدِ الدُّمُوعِ سَوَابِحُ
قَالَتْ: لَتَعْلَمَنَّ أَنَّ عُرْوَةَ كَانَ لِي
وَعَلِمْتُ أَنَّ هَوَاهُ لَا عَنْ رِيْبَةٍ
هَلَّا أَذِنْتَ بِأَنْ أَزُورَ ثَرَابَهُ
— مَنْ ذَا يُمَانِعُ أَنْ تَفِيهِ حَقُّهُ
شَاهَدَتْ غُصْنًا مِنْ رَطِيبِ الْبَانِ
مُتَقَصِّفًا وَأُصِيبَ بِالرَّجْفَانِ
مِنْ صَدْرِ مُحْتَضِرٍ بِهِ جُرْحَانِ
فَتَنَاشَمَ الْفِضَى بِالْمَرْجَانِ
إِلْفًا وَنَحْنُ وَعُرْوَةُ حَدِثَانِ
يُخْزِي بِهَا رَجُلِي وَيُخَفِّضُ شَانِي
أَفَمَا أَبِي وَأَبُو الْفَتَى أَخَوَانِ
سِيرِي. فَمَا هِيَ غَيْرُ بَعْضِ ثَوَانِ

حَتَّى رَأَيْتَ بِقَبْرِ عُرْوَةَ بَانَةً مَحْنِيَّةً — وَآ لَهْفَتَا لِلْبَانِ
وَسَمِعْتَ آيَةَ زَفْرَةٍ وَشَهِدْتَ آيَةَ ثَوْرَةٍ وَلَمَسْتَ أَيَّ حَنَانِ
—... وَاغْرُوتَاهُ... وَلَمْ تُتَمِّدْ نِدَاءَهَا حَتَّى أُرْتَمَتْ فَإِذَا هُنَا مَيِّتَانِ

ضَمُّوا الْفَتَاةَ إِلَى الْفَتَى فِي حُفْرَةٍ مِنْ فَوْقِهَا غُضُنَانِ مُلْتَفَّانِ
رُوحَانِ ضَمَّهُمَا الْهَوَى فَتَعَانَقَا وَتَعَاهَدَا فَتَعَانَقَ الْكَفَنَانِ

١٩١٧





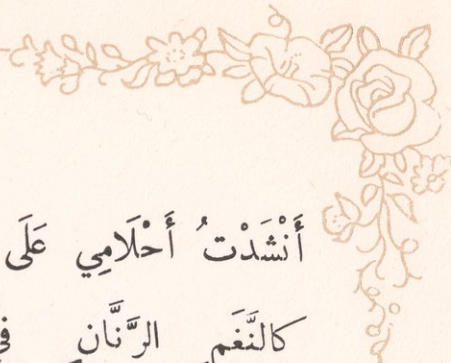
إِلَى امْرَأَةٍ

معربة حرفياً عن الشاعر الفرنسي « لويس بويه »

مَاذَا؟ أَحَقًّا كُنْتَ بِي تَهْزِئِينَ وَكُنْتَ فِي حُبِّكَ لِي تَكْذِبِينَ
لَمْ تَخْدَعِينِي مُطْلَقًا إِنَّمَا نَفْسُكَ يَا هَذِي الَّتِي تَخْدَعِينَ
مَنْعَتْ حُبِّي عَنْكَ لَكِنَّمَا مَنَحْتُ عَفْوَِي شَيْمَةَ الْأَكْرَمِينَ

مَهْلًا فَمِصْبَاحُكَ لَمْ يَاتِلِقْ إِلَّا بِمَا مِنْ شُعْلَتِي تَقْبَسِينَ
مَهْلًا فَإِنِّي مِثْلُ ذَاكَ الَّذِي فِي عُرْسٍ « قَانَا » أَدْهَشَ الْعَالَمِينَ
صَيَّرْتُ خَمْرًا آسِنَ الْمَاءِ فِي نَفْسِكَ: خَمْرًا يُنْعِشُ الشَّارِبِينَ
وَلِيْمَةً كَانَتْ لَنَا فِي الْهَوَى أَكْثَرَتْ فِيهَا عَدَدَ الْمُعْجَبِينَ

هَلْ كُنْتَ فِي أَبْهَى لِيَا لِي الْهَوَى أَيَّامَ كُنْتَ فِتْنَةَ النَّاطِرِينَ
هَلْ كُنْتَ إِذْ ذَاكَ سِوَى آلَةٍ أَلْحَانَهَا مِنِّي وَمِنْهَا الرِّنِينَ



أَنْشَدْتُ أَحْلَامِي عَلَى فَارِغٍ مِنْ خَشَبِ الْقَلْبِ الَّذِي تَحْمِلِينَ
كَالْنَعْمِ الرِّثَانِ فِي آلَةٍ فَارِغَةٍ تَحْتَ يَدِ الضَّارِبِينَ

إِنْ جَاءَتْ الْأَلْحَانُ تَسْبِي النُّهَى فَأَيُّ فَضْلٍ عِنْدَهَا تَدْعِينَ
أَلَمْ أَكُنْ أَسْطِيعُ إِنْشَادَهَا عَلَى الْمَلَا مِنْ غَيْرِ مَا تُذَكِّرِينَ
إِنِّي لَكِي أَبْدِعَ هَذَا السَّنَا مِنْ عَدَمٍ... وَلَمْ يَعِشْ غَيْرَ حِينٍ
لَقَدْ كَفَانِي أَنِّي عَاشِقٌ وَأَنْتِي كُنْتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالآنَ سِيرِي فِي الطَّرِيقِ الَّذِي شِئْتُ فَلِي أَيْضًا طَرِيقُ أَمِينٍ
سِيرِي وَلَا تَنْسِي بَأْنَ تَسْتُرِي إِنْ كُنْتَ تَسْتَحِينِ، ذَاكَ الْجَبِينِ
مَادَبَّةً أَفْرَغْتُ كَأْسِي بِهَا وَقُمْتُ عَنْهَا لَا كَمَا تَزْعُمِينَ
فَفَضَلَةُ الْكَأْسِ الَّتِي عَفَتْهَا تَرَكَتُهَا لِلْخَدَمِ السَّاقِطِينَ



من مآسي الحرب

وهذه مأساة ثانية وقعت سنة ١٩١٧ ، وكانت الحرب قد فتكت
بنصف سكان لبنان تقريباً ، بطلها متصرف جبل لبنان
وضحيته عذراء طاحت المجاعة بوالديها تاركين لها أخاً صغيراً .

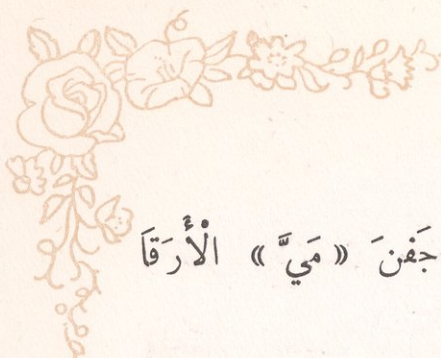
أَلَمْهَى أَهْدَتْ إِلَيْهَا الْمُقْلَتَيْنِ وَالطَّبَا أَهْدَتْ إِلَيْهَا الْعُنُقَا
فَهُمَا فِي الْحُسْنِ أَسْنَى حِلْيَتَيْنِ لِلْعَذَارَى ، جَلَّ مَنْ قَدْ خَلَقَا

وَدَرَى الرُّوضُ بَيْتَيْنِ الْمُنْحَتَيْنِ وَقَدِيمًا يَعْشَقُ الرُّوضُ الْحِسَانَ
فَكَسَا بِالْوَرْدِ مِنْهَا الْوَجْنَتَيْنِ وَكَسَا مَبْسَمَهَا بِالْأَقْحُوَانِ
وَرَمَى فِي صَدْرِهَا رُمَانَتَيْنِ مَنْ رَأَى الرُّمَانَ فَوْقَ الْخَيْزُرَانِ
فَهُمَا فِي صَدْرِهَا كَأَلْمُوجَتَيْنِ أَيُّ صَبٍّ مَا تَمْنَى الْغَرَقَا ؟
أَوْهُمَا — وَلَيْسَلَمَا — كَأَلْتَوَّامَيْنِ كَلَّمَا هَمَّتْ بِأَمْرِ قَلِقَا
وَرَأَاهَا اللَّيْلُ فَأَخْتَارَ الْمَقَامَ — وَلَقَدْ طَابَ لَهُ — فِي شَعْرِهَا
وَصَبَا الْفَجْرِ فَأَضْحَى حِينَ هَامَ بِهِوََاهَا دُرَّةً فِي ثَغْرِهَا

فَإِذَا «مِي» كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ مَا نَجَا ذُو صَبَوَةٍ مِنْ أَسْرِهَا
غَيْرَ أَنَّ الطُّهْرَ لِلْحَسَنَاءِ زَيْنُ أَنْزَلَتْهُ قَلْبَهَا فَاسْتَوْثَقَا
فَإِذَا خَافَا افْتِرَاقَ الصَّاحِبَيْنِ ذَكَرَا عَهْدَهُمَا فَاعْتَمَقَا

هَكَذَا فَلْتَكُنِ الْغَيْدُ الْحِسَانُ عِفَّةً فِي رِقَّةٍ فِي أَدَبٍ
ذَلِكَ الْكَنْزُ الَّذِي لَا يُسْتَهَانُ أَيْنَ مِنْ ذَلِكَ كَنْزُ الذَّهَبِ
وَحُلَى كَانَتْ عَلَى صَدْرِ الزَّمَانِ فَاسْتَبَاحَتْهَا نِسَاءُ الْعَرَبِ
فَرَوَتْ عَنْهَا لَيَالِي الرِّقَمَتَيْنِ خَيْرَ مَا يُرَوَى، وَغُزْلَانُ النِّقَا
فَشَهِدْنَا مِنْ لِقَاءِ الْعَاشِقَيْنِ كُلَّ مَا يَجْمُلُ فِي عَيْنِ الشَّقَى

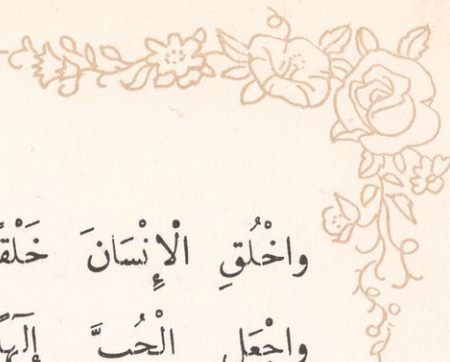
هَلْ رَأَيْتَ الْوَرْدَ فِي الْوَعْرِ نَمَا فَبَدَا لِلْعَيْنِ شَيْئًا عَجَبًا
وَرْدَةٌ صَارَتْ بِهَا الْأَرْضُ سَمَا عِنْدَمَا لَاحَتْ عَلَيْهَا كَوْكَبًا
مَنْعَتْ مَبْسِمَهَا النَّاسَ وَمَا مَنْعَتْهُ عَنْ نَسِيمَاتِ الصَّبَا
هَكَذَا «مِي» نَمَتْ فِي أَبْوَيْنِ خَلَفَاهَا وَأَخَاهَا لِلشَّقَا



وَاسْتَرَا حَا بَعْدَ ذَا فِي حُفْرَتَيْنِ وَأَبَا حَا جَفَنَ «مَيَّ» الْأَرْقَا

رَبِّ إِنْ الْكَوْنَ مَهْمَا عَظُمَا قُدْرَةً ذَلَّتْ لَدَيْهَا الْعُظُمَا
هُوَ فِي عَيْنِكَ لَا يُحْسَبُ شَيْءٌ كُلُّهُمْ فَإِنْ وَسُبْحَانَكَ حَيَّ
أَلِأَمْرِ ضَلَّ عَنْهُ الْحُكْمَا شِئْتَ يَا رَبِّي أَنْ تُوجِدَ «مَيَّ»
وَأَخَاهَا ، وَهُوَ دُونَ السَّنَتَيْنِ لَمْ يَكِدْ يُحْسِنُ بَعْدُ النُّطْقَا
وَأَثَرَتْ الْحَرْبَ مِلءَ الْخَافِقَيْنِ فَغَدَا الْكَوْنَ بِهَا مُنْصَعِقَا

رَبِّ . لَوْ شِئْتَ لَمَا سَالَتْ دِمَا وَلَمَا يُتِمَّ مَنْ قَدْ يُتِمَّا
أَمْرُكَ الْأَمْرُ فَعَمَنْ ذَا يُنْكِرُ وَلَمَا اسْتَلَّ السَّلَاحَ الْعَسْكَرُ
رَبِّ . إِنْ نَحْنُ بَلَّغْنَا الْهَرَمَا أَوْ يَكُنْ حَانَ الَّذِي يُنْتَظَرُ
مُرُّ وَلَا كُفْرَانِ ذَيْنِ الْكُوكَبَيْنِ يَخْرِقَا النَّامُوسَ أَوْ يَحْتَرِقَا
وَاسْتَرَحَ مِنَّا فَغَدُوْ بَعْدَ عَيْنِ أَثَرًا لَا بُدَّ أَنْ يَنْمَحِقَا



وَاخْلُقِ الْإِنْسَانَ خَلْقًا رَاقِيًا
وَاجْعَلِ الْحُبَّ إِلَهًا ثَانِيًا
وَلْيَكُنْ كُلُّ امْتِيَّازٍ لَا غِيَا
رَبِّ هَلْ مِنْ نِصْفَةٍ فِي وَلَدَيْنِ
فَإِذَا الْمُؤَسِّرُ يُكْسَى حُلَّتَيْنِ
وَاقْتُلِ الْبُغْضَ بِهِ وَالْكِبْرِيَاءَ
وَاسْجُنِ الْمَالَ وَلَا تُبْقِ الرِّيَاءَ
يَخْرُجِ النَّاسُ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ
خَرَجًا مِنْ مَصْدَرَيْنِ افْتِرَاقًا
بَيْنَا الْمُعْسِرُ يُكْسَى الْخِرْقَا

مَنْ تَرَى يَشْرَحُ لِي ذَنْبَ الْفَقِيرِ
يَرِثَانِ الْبُؤْسَ، وَالْعَيْشَ النَّضِيرِ
أَفْهَدِي حِكْمَةَ اللَّهِ الْقَدِيرِ ؟
إِنَّمَا هَذَانِ مِثْلُ الْبَذَرَتَيْنِ
فَكَسَا الْمَقْدُورُ تَيْنِ النَّبَتَتَيْنِ
أَوْ تَرَى يُظْهِرُ لِي فَضْلَ الْغَنِيِّ
وَيُقِيمَانِ كَذَا فِي الْكَفَنِ
لَا . — وَجَلَّ اللَّهُ عَنْ ذَا الْعَبَنِ
ثَرًا فِي الْأَرْضِ حَتَّى انْبَثَقَا
هَذِهِ قُبْحًا وَهَذِي رَوْنَقًا

ضَاقَ «جُوبِيتِيرُ» صَدْرًا فَأَنْبَرَى
فَبَدَأَ أَهْيَبَ شَيْءٍ مَنظَرًا
يَتَمَشَّى فِي فَرَادِيسِ الْجَنَانِ
وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ مِنْ أَرْجُوانِ

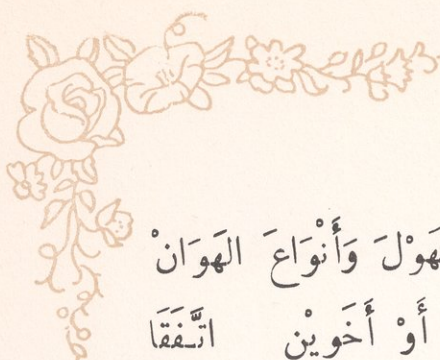


واعزوتاه ! ولم تَمِ نداءها حتى ارتمت فإذا هنا ميتان

(صفحة ٧٤)



Map of the Kingdom of ...

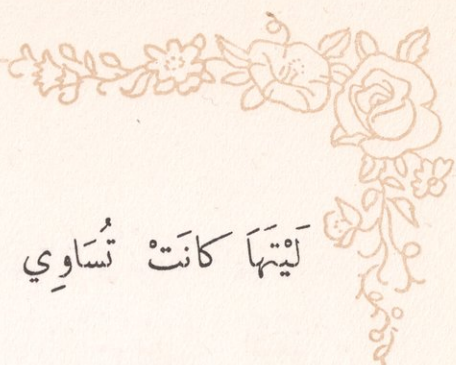


وَرَمَى لِلْأَرْضِ مِنْهُ نَظْرًا
مَلْعَبًا لِلشَّرِّ مَا مِنْ صَالِحِينَ
فَرَمَى غَيْظًا عَلَيْهَا جَمْرَتَيْنِ
فَتَلَطَّتْ وَتَلَطَّى حَنَقًا
فَرَأَى الْهَوْلَ وَأَنْوَاعَ الْهَوَانِ
فَوَقَّهَا أَوْ أَخَوَيْنِ اتَّسَقًا

إِنهَا الْحَرْبُ... وَلَمْ تَتْرُكْ عَلَى
وَنُفُوسًا حُومًا حَوْلَ الْبَلَى
تَشْتَكِي الْجُوعَ وَتَقْرِي الْعِلَلَا
وَشَكَا لُبْنَانُ مِنْهَا عَلَتَيْنِ
وَأُمُورًا لَوْ أَصَابَتْ جَبَلَيْنِ
رَسَخًا فَوْقَ الثَّرَى لَا نَسَحَقًا
سَطَحِيهَا إِلَّا جُسُومًا بَالِيَةً
تَتَمَشَّى فِي صُدُورِ خَاوِيَةٍ
عَجَبًا مِنْهَا جِيَاعًا قَارِيَةٍ
حَاكِمًا جِلْفًا وَعَيْشًا ضَيِّقًا
رَسَخًا فَوْقَ الثَّرَى لَا نَسَحَقًا

ضَرَبَ الْجُوعُ بِصَمَامٍ رَهِيْفٍ
مَوْقِفٌ أُمْسَى بِهِ نَيْلُ الرِّغِيْفِ
وَيَح «مَيَّ» وَهِيَ مِنْ جِنْسٍ ضَعِيفٍ
وَنِيَابٍ لَا تُسَاوِي (وَرَقَتَيْنِ) ^(١)
فَإِذَا قَتَلَاهُ مِلْهُ السُّبُلِ
أَمَلًا ؛ أَكْذِبْ بِهِ مِنْ أَمَلِ
مَا لَهَا غَيْرُ بَقَايَا الْمَنْزِلِ
رَحِمَ الرَّحْمَانُ ذَاكَ الْوَرَقَا

(١) كانت الليرة التركية تساوي يومذاك ستة عشر غرشاً .



لَيْتَهَا كَانَتْ تُسَاوِي ذَهَبِينَ عَلَّمَا كَانَتْ تُسَدُّ الرَّمَقَا

«مَيَّ!» مَا السَّخْرُسُوَى مَارَسَمَتْ رِيْشَةُ الْمُبْدِعِ فِي هَذِي الْعُيُونِ
لَمْ تُصَادِفْ مُهْجَةً إِلَّا رَمَتْ وَأَصَابَتْ ، هَكَذَا الْفَتَكُ يَكُونُ
فَهِيَ لَوْ رَقَّتْ لِمَنْ قَدْ تَيَمَّمَتْ وَأَبَاحَتْ ذَلِكَ الشَّعْرَ الْمَصُونُ
لَجَرَى التَّبَرُّ إِلَيْهَا وَاللَّجَيْنِ وَكَلا الْاِثْنَيْنِ يَبْغِي السَّبَقَا
وَمَشَتْ مِنْ زَهْوِهَا فِي مَوْكِبَيْنِ وَحَنَا الرَّغْدُ لَدَيْهَا الْعُنُقَا

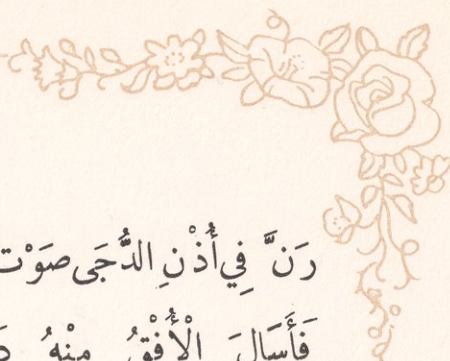
هِيَ بِنْتُ الْفَقْرِ يَا بِنْتَ الْغِنَى تُوْثِرُ الْمَوْتَ عَلَى الْعَرَضِ السَّخِيفِ
فَارْتَمَتْ «مَيَّ» عَلَى مَهْدِ الضَّنَى وَتَرَامَيْتِ عَلَى مَهْدِ «مُنِيفِ»
فَهِيَ لَوْ تَشْرِي بِعَرَضٍ ثَمَنًا عَذَرَ الْعَاقِلُ فَالْجَوْعُ مُخِيفُ
إِنَّ مَنْ قَابَلَ بَيْنَ الْغَادَتَيْنِ كَادَ مِنْ إِيْمَانِهِ أَنْ يَمْرُقَا
يَا سَمَّا قُولِي لَنَا الْإِنْصَافُ أَيْنَ أَتْرَاهُ ضَلَّ عَنَّا الطَّرْقَا



أَيُّهَا الْفَقْرُ وَإِنْ كُنْتَ كَمَا زَعَمَ الزَّاعِمُ قَوَّادَ الزَّيْنِ
لَكَ—وَلْتَهْنَأْ—شَقِيقٌ فَوْقَ مَا تَتَمَنَّى ، إِنَّهُ حُبُّ الْغِنَى
كَمْ أَبٍ أَمَّلَ مِنْهُ مَغْنًا وَرَأَى فِي بِنْتِهِ نَيْلَ الْمُنَى
فَرَمَى بِالْعَرَضِ عَرَضَ الْحَائِطَيْنِ وَمَشَى بِابْنَتِهِ لِلْمُلْتَقَى
فَهُوَ مِنْ ذَاكَ وَذَا صَفَرُ الْيَدَيْنِ شَرَفٌ مَاتَ وَعَرَضٌ مَرْقَا

قُوتِلَ الْمَالُ فَكَمْ مِنْ رَجُلٍ مِثْلَ هَذَا قَادَ يَوْمًا وَاسْتَقَادَ
رَدَّ عَنْهُ الْمَالُ سَيْفَ الْعَدْلِ وَوَقَاهُ أَلْسُنَ اللَّوْمِ الْحِدَادِ
وَلَكُمْ مِنْ غَادَةٍ لَا تَأْتِي تَطْرَحُ الْجِسْمَ عَلَى مَهْدِ الْفَسَادِ
هِيَ مِنْ ثَرَوَتِهَا فِي فَيْلَقَيْنِ يَنْصُرُ الْفَيْلَقُ مِنْهَا الْفَيْلَقَا
فَإِذَا جَرَّدَتْ عَنْهَا كُلَّ عَيْنٍ هَدَفًا أُمْسَتْ لِمَنْ قَدْ رَشَقَا

فِي سُكُونِ اللَّيْلِ وَالنَّاسِ نِيَامٍ وَفُؤَادُ الْكَوْنِ مُحْمُومٌ كَثِيبُ
وَعَلَى النَّجْمِ مِنَ الْغَيْمِ لَثَامُ وَهَلَالُ الْأُفُقِ فِي حُضْنِ الْمَغِيبِ



رَنَّ فِي أُذُنِ الدُّجَى صَوْتُ غُلامٍ وَأَجَابَتْهُ فَتَاةٌ بِالنَّحِيبِ
فَأَسَالَ الْأُفُقُ مِنْهُ دَمْعَتَيْنِ أَتُرَى ذَلِكَ أَبْكَى الْأُفُقَا؟
وَرَنَا الْبَدْرُ لِذَيْنِ الْبَائِسِينَ فَتَلَطَّى لَوْعَةً فَانْفَلَقَا

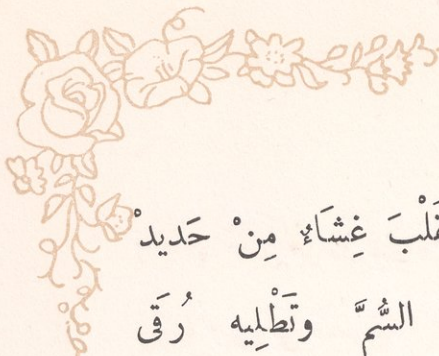
إِيهِ يَا لَيْلُ فَهَذَا بَيْتُ «مِي»
— إِفْتَحِي. قَالَتْ: مَنْ الْآتِي إِلَيَّ؟
طَرِيقَ الْبَابِ... فَمَنْ زَوَّرُ الدُّجَى؟

— أَنَا — مَنْ أَنْتِ؟

— أَجَابَتْهَا: «رَجَا»

— لَمْ يَمُرَّ اسْمُ «رَجَا» فِي أُذُنِي أَتُرَى تَحْسِبُ بَيْتِي مُلْتَجَا
رَدَدْتُ فِي النَّفْسِ تَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ وَمَشَتْ تَنْظُرُ مَنْ قَدْ طَرَقَا
فَإِذَا شَمَطَاهُ تَطَلَّى الْوَجْنَتَيْنِ وَبِنْثُ الطَّيْبِ عَنْهَا الْعَبَقَا

شُدِّهَتْ لَمَّا تَلَاقَى النَّظْرَانِ وَاسْتَبَانَ ذَلِكَ الْحُسْنَ الْفَرِيدُ
وَهِيَ لَمَّا سَمِعَتْ ذَا الْكَرْوَانَ أَيْقَنْتْ أَنْ سَوْفَ تَلْقَى مَنْ تُرِيدُ



فَعَلَا الْوَجْهَ لِثَامٍ مِنْ حَنَانٍ
وَأَدَارَتْ حَيَّةً فِي حَنَكَيْنِ
أَي «رَجَا»، رَقِي لَدَيْنِ الطَّائِرَيْنِ
وَعَلَا الْقَلْبَ غِشَاءً مِنْ حَدِيدٍ
تَنَفُّثُ السَّمِّ وَتَطْلِيهِ رُقَى
قَدْ رَأَيْنَاكَ نَشَرْتَ الدُّبُقَا

— يَا ابْنَتِي لَا تَجْزَعِي، ثُمَّ رَنْتِ
قُوْتِلْتَ هَذِي اللَّيَالِي كَمْ جَنْتِ
وَلَدِي أَنْتِ وَلَمَّا طَعَنْتِ
مَا حَرَامٌ أَنْ أَرَى هَذَا الْعُصَيْنِ
وَهُوَ لَوْ شَاءَ لِأَجْرَى نَبْعَتَيْنِ
وَأَمَحْنَتْ كَالْأُمِّ فَوْقَ الْوَلَدِ
مَا عَفَتْ - لَا عُوفِيَتْ - عَنْ أَحَدٍ
وَلَدِي قَدْ طَعَنْتِ فِي كَبِدِي
ذَاوِيًا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ أَوْرَقَا
مِنْ يَنَابِيعِ الْأُمَانِي وَاسْتَقَى

— أَنَا لَوْ شِئْتُ؟ لِمَاذَا لَا أَشَا
فَأَخِي قَدْ نَامَ مِنْ دُونِ عَشَا
مَنْ لِهَذَا الْقَلْبِ أَنْ يَنْتَعِشَا؟
مَنْ يُطِيقُ الْجُوعَ مَنْ يَهْوَى السَّقَامَ
وَأَنَا مَا ذُقْتُ فِي يَوْمِي طَعَامَ
— خَفَّفِي عَنْكَ فَمَا مَاتَ الْكَرَامَ

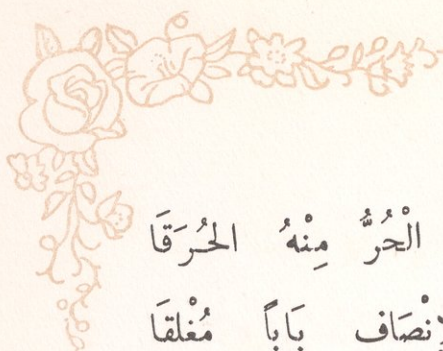
وَنَدَى الْحَاكِمِ يَزْرِي الْمُزْنَتَيْنِ قَمَتِي تَسْتَمْطِرِيهِ أَغْدَقَا
— أَتَرَى يَرْحَمُنَا؟

— سَوْفَ تَرَيْنِ فَأُسْتَرْجِي .. وَغَدَا يَوْمَ اللَّقَا

أَرِقْتُ « مَيِّ » كَأَنَّ الْأَمَلَا حِينَ نَامَتْ سَارِقَ الْجَفْنِ الْغَرَارَا
فَاسْتَحَالَ الْحَزْنُ فِيهَا جَذَلَا وَاسْتَمَدَّ الْقَلْبُ مِنْهُ فَاسْتَنَارَا
حَسِبْتُهَا نِعْمَةً مِنْ ذِي الْعُلَى مَنْ رَأَى أَطْهَرَ مِنْ قَلْبِ الْعَذَارَى
« مَنَحَ اللَّهُ الْعَذَارَى مَلَكَينِ يَحْرُسَانِ الطُّهْرَ كِي لَا يُسْرِقَا »
« فَلِذَا يَشْعُرُ مَنْ هَمَّ بِشَيْنِ بِجَنَاحِ حَوْلَهَا قَدْ خَفَقَا ^(١) »

لَعَنَ الْقَصْرُ بَدَتْ فِيهِ الشُّمُوسُ فَعَلَى وَجْهِ الدَّجَى مِنْهُ نَهَارُ
وَأْدِيرَتْ فِي مَغَانِيهِ الْكُؤُوسُ مَزَجُوا فِيهَا رُضَابًا بِعُقَارُ
هُوَ كَالدُّنْيَا سُعُودٌ وَنُحُوسُ وَالْبَرَآيَا مِنْهُ فِي مَاءٍ وَنَارُ

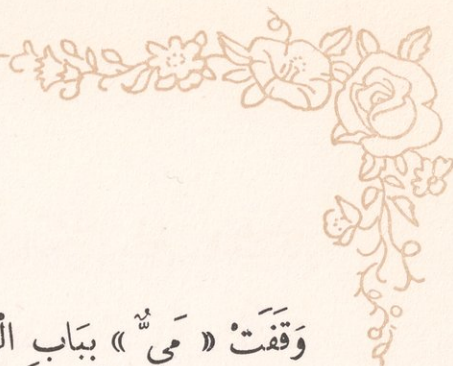
(١) البيتان الموضوعان بين هلالين مقتبسان عن ألفرد دي موسه .



يَسْبَحُ النَّذْلُ بِهِ فِي لُجَّتَيْنِ وَيُقَاسِي الْحَرَّ مِنْهُ الْحُرْقَا
فَمَتَى يُنْصَفُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ إِنَّ لِلْإِنْصَافِ بَابًا مُغْلَقًا

لَا رَعَاكَ اللَّهُ يَا قَصْرُ وَلَا سَالَمَ الدَّهْرُ وَلَا جَادَ الْغَمَامُ
فَدِمَاءُ الشَّهَدَا هَذِي الطَّلَا وَعَوَامِيدُكَ مِنْ تِلْكَ الْعِظَامُ
فَاعْتَصِرْهَا أَكْبَدًا أَوْ مُقْلًا وَتَرَشَّفْهَا غَرَامًا وَعُرَامُ
تَسْتَقِي الرِّغْدَ وَتَسْقِي كَأْسَ حَيْنٍ وَتَرَى مُصْطَبِحًا مُغْتَبِقًا
فَكِلَانَا أَبَدًا فِي سَكْرَتَيْنِ لِلَّهِمَا كَأْسٌ وَكَأْسٌ لِلشَّقَا

أَيُّهَا النَّاسُ الْأَلَى خَاطُوا الْكَفَنَ لِفَقِيرٍ كَيْ يَفُوزُوا بِالثَّرَاءِ
هَبْ وَرِثْتُمْ بَعْدَهُ الْأَرْضَ فَمَنْ يُصْلِحُ الْأَرْضَ لَكُمْ يَا أَغْنِيَاءُ
فَإِذَا طَاحَ بِذِي الْفَقْرِ الزَّمَنُ فَالْغَنَى إِنَّ يَشْمُلُ النَّاسَ عَنَاءُ
مَنْ رَوَى فِيمَا رَوَى عَنْ حَاجِزَيْنِ يَمْنَعَانِ الْمَاءَ أَنْ يَنْدَفَقَا
حَرَمَا الظَّمَانَ بَلَّ الشَّفَتَيْنِ وَأَقَامَا يَشْكُوَانِ الْغَرَقَا



وَقَفْتُ « مَيِّ » بَبَابِ الْحَاكِمِ كَمَلَاكِ اللَّهِ مَقْصُوصَ الْجَنَاحِ
وَقَفْتُ عَطَشِي كَطِيرٍ حَائِمٍ حَوْلَ مَاءٍ يَحْسِبُ الْوَرْدَ مُبَاحٍ
وَتَخَطَّتُهُ بِرَجْلِي صَائِمٍ أَوْ بِرَجْلِي ثَمَلٍ مِنْ غَيْرِ رَاحٍ
وَهِيَ لَوْ أَنَّ لَدَيْهَا كِسْرَتَيْنِ لَكُنْتُهَا عِزَّةً عَنْ ذَا اللَّقَا
إِنَّمَا يَأْسُ الْفَتَى لَيْسَ بِهِيْنِ لَا يُبَالِي يَأْسٌ أَنْ يُخْفِقَا

« مَيِّ » يَا أُخْتَ الْغَزَالِ النَّافِرِ خَبَرِينَا أَيْنَ ضَيَّعْتَ النُّفُورَا
يَا ضِيَا وَجْهِ الصَّبَاحِ الطَّاهِرِ كَيْفَ يَبْقَى ذَلِكَ الْوَجْهُ طَهُورَا
يَا أُسِيرًا تَحْتَ حُكْمِ الْأَسِيرِ هَكَذَا الْأَسِيرُ يَرْضَى أَنْ تَسِيرَا
سِرًّا.. فَسَارَتْ خُطْوَةٌ أَوْ خُطْوَتَيْنِ فَإِذَا الْبَابُ عَلَيْهَا أُغْلِقَا
قَالَ: أَهْلًا... نَمَّ مَدَّ الرَّاحَتَيْنِ ثَمَّ

رَبِّ . قُلْ لِلْجُوعِ يُصْبِحُ شَبَعًا وَأَنْقِذِ الطُّهْرَ الَّذِي قَدَّسْتَهُ



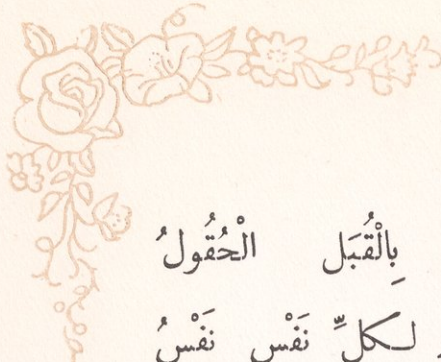
أَوْ مُرِ الْفِسْقَ فَيَغْدُو وَرَعًا إِنْ يَكُنْ شَرًّا فَلِمَ أَوْجَدْتَهُ
طَبَعْتَهُ قُدْرَةً فَأَنْطَبَعَا
مَلَكٌ حَطَّمَتْ مِنْهُ الْجَانِحِينَ فَهَوَى مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ حَلَقًا
مَا تَرَى يَفْعَلُ مَكْتُوفُ الْيَدَيْنِ أَتُرَى يَقْدِرُ أَنْ لَا يَغْرَقَا ؟

١٩١٧



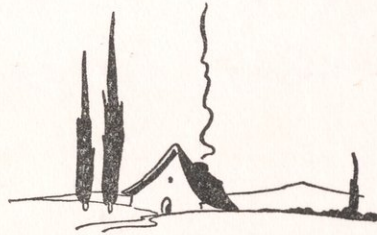
القرية

أيتها الفتاة الصغيرة
من القرى اشتقوا لك اسم القرية
شاعرك البلبل ذو الإلهام
والغيمة البيضاء مثل القبة
تضم أعناق الربى وتلثم
كم طربت شمس لهذا المشهد
حتى إذا الليل سجا ومدا
مشى إليه البدر مثل الصائد
حتى رمى بخردق النجوم
ماتم لكنها أغراس
توحي بها القرية في رأس الجبل
أنت بتاج ملك جديرة
وعطل السفح فكنت الحلية
وعودك الجدول ذو الأنعام
كانها من الحرير جبه
فليس إلا شفة ومبسم
فمسحت جبهته بالعسجد
على الورى جناحه المسودا
يهتبل الغفلة من مطارِد
صدر الدجى فسلن كالكلوم
يدار عندها الصفا والكاس
وأروح العيش خيال وأمل



وَسَاعِدُهُ مِنَ الصُّحَى مَفْتُولُ تَغْمُرُهُ بِالْقُبَلِ الْحُقُولُ
أَسْمَرُ مِمَّا لَدَعَتْهُ الشَّمْسُ فِي كَفِّهِ لِكُلِّ نَفْسٍ نَفْسُ
يَقُومُ فِي الْأَرْضِ مَقَامَ الْخَالِقِ فَيُغْدِقُ الرِّزْقَ عَلَى الْخَلَائِقِ
فَقُلْ لِمَنْ يُحَاوِلُونَ قَتْلَهُ الْعَدْلُ يَقْضِي أَنْ تَمُوتُوا قَبْلَهُ

١٩١٧





سلفين وجيروم

كان الشاعر قد طوى هذه القصيدة في جملة
ما طواه من قصائد المرحلة الأولى فأبى
عليه أصدقاؤه إلا إثباتها لما فيها من طرافة .

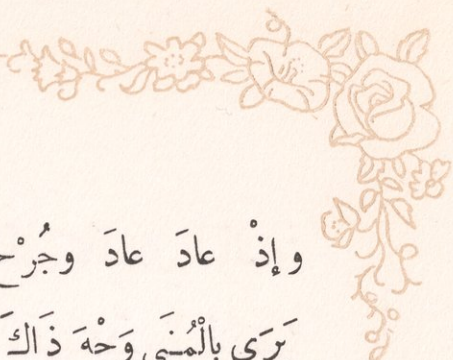
مِنَ الذَّوْقِ أَنْ تُحِفَ الصَّحْبَ شَيْئًا عَلَى ذَوْقِهِمْ ، وَهُوَ أَمْرٌ يَسِيرُ
وَأَحْسَبُ أَنِّي سَأَرْضِيهِمْ لِأَنِّي بِذَوْقِ الصَّحَابِ خَبِيرُ
وَلَسْتُ لِأَعْنِي «هُمُ» دُونَ «هُنَّ» وَإِلَّا شَدَّدَنَ عَلَيَّ النَّكِيرُ
فَمَا ذَوْقُ «هُنَّ» سِوَى ذَوْقِ «هُمُ» وَلَكِنَّمَا الْفَرْقُ فَرْقُ (الضَّمِيرِ)

قَرَأْتُ «لَبُوكَاسَ» وَهُوَ الَّذِي بِذَا الْفَنِّ لَيْسَ لَهُ مِنْ نَظِيرِ
يُرِيكَ الْفَتَاةَ بِقُرْبِ الْفَتَى (كَمَا خَلَقَا) فِي الْفِرَاشِ الْوَثِيرِ
وَيُضْحِكُنَا غَالِبًا إِنَّمَا لَهُ فِي مَرَامِيهِ مَغْزَى خَطِيرِ
أَقْلَدُهُ جَهْدَ مَا أَسْتَطِيعُ فَإِنْ فُزْتُ فُزْتُ بِحِطِّ كَبِيرِ
قَرَأْتُ «لَبُوكَاسَ» أَنَّ أَمْرًا أَصَابَ مِنَ الْمَالِ حَظًّا وَفِيرِ



قضى بعدَ أَنْ أُخْرِجَتْ عُرْسُهُ
فَعَاشَ تُرَاقِبُهُ الْأَوْصِيَاءُ
فَهَامَ بِحَسَنَاءَ مِنْ عُمُرِهِ
وَمَا زَالَ يَنْمُو بِهِ حُبُّهَا
وَلَمْ تَسْتَطِعْ أُمُّهُ رَدَّعَهُ
وَقَدْ سَأَلْتَهُمْ أَنْ يُبْعِدُوهُ
وَمَا بَرِحُوا بِالْفَتَى وَهُوَ يَأْبَى
لَهُ وَلَدًا كَالْهِلَالِ الْمُنِيرِ
إِلَى أَنْ مَشَى لِلشَّبَابِ النَّضِيرِ
وَلَكِنهَا ابْنَةُ شَيْخٍ فَقِيرٍ
وَيَكْبُرُ فِي الْقَلْبِ حُبُّ الصَّغِيرِ
فَرَأَتْ إِلَى أَهْلِهِ تَسْتَجِيرُ
عَسَى الْبَعْدُ يُنْسِيهِ ذَاكَ الْعَشِيرِ
وَيَمْنَعُهُ « حُبُّهَا » أَنْ يَسِيرُ

وَقَالُوا لَهُ سَنَةٌ ثُمَّ تَمْضِي
وَمَا كَانَ إِلَّا غَلَامٌ فَرِيدُ
فَأَذَعْنَ وَالْدَّمْعُ فِي مُقْلَتَيْهِ
فَعَادَرَ قَرِينَتَهُ تَارِكًا
أَقَامَ بِمَنْفَاهُ عَامَيْنِ كَانَا
فَلَمْ يَخْتَرِفْ غَيْرَ عَدِّ اللَّيَالِي
وَتَرَجِعُ مُسْتَمْتِعًا مُسْتَنِيرُ
وَكَانُوا حَوَالَيْهِ جَمْعًا غَفِيرُ
وَفِي قَلْبِهِ مِثْلُ حَرِّ السَّعِيرِ
بِهَا قَلْبُهُ وَالْمَنَى وَالضَّمِيرُ
كَرَّضُوا عَلَى ظَهْرِهِ أَوْ ثَبِيرُ
وَيَسْأَلُهَا رَحْمَةً أَنْ تَطِيرُ



وَإِذْ عَادَ عَادَ وَجُرْحُ الْهَوَى
يَرَى بِالْمَنَى وَجْهَ ذَاكَ الْحَبِيبِ
وَلَكِنَّمَا الْبُعْدُ ذَنْبٌ كَبِيرٌ
- كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ - جُرْحُ خَطِيرٍ
وَيَحْسَبُهُ بِانْتِظَارِ الْبَشِيرِ
لَهُ «عِنْدَهُنَّ» قِصَاصٌ كَبِيرٌ

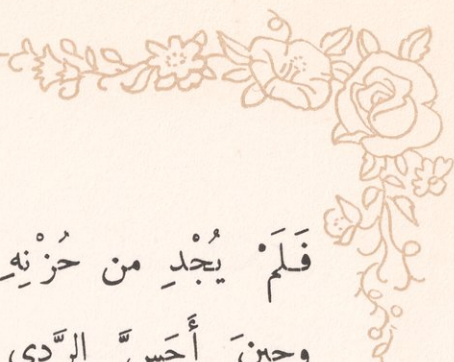
وَبَيْنَا الْفَتَى كَانَ يَشْتَقِي هُنَا
فَإِذْ عَادَ لَمْ يَلْقَ فِي سِرْبِهِ
قَضَى زَمَنًا ذَاهِلًا لَا يَحِيرُ
وَقَدْ كَانَ يَعْرِفُ بَيْتَ الْخَوُونِ
وَيَأْمُلُ مِنْهَا وَلَوْ نَظَرَةً
وَلَكِنَّهُ لَمْ يَنْلُ مَا رَابَا
فَحَاوَلَ «جِيروم» قَبْلَ الْمَمَا
وَإِذْ هِيَ مَعَ زَوْجِهَا لَيْلَةً
أَتَى الْبَيْتَ وَأَنْسَلَ خَلْفَ السَّرِيرِ
كَكَانَتْ تُزَفُّ الْفَتَاةُ هُنَا
سِوَى الْقَبْرِ يَدْفَنُ فِيهِ الْمَنَى
إِلَى أَنْ وَهَى صَبْرُهُ وَأَنْتَهَى
فِيَنْسَلُ تَحْتَ جَنَاحِ الْخَفَا
تَشْفُ لَهُ عَنْ جَمِيلِ الرِّضَا
لَأَنَّ فَوَادَ الْفَتَاةِ سَلَا
تِ تَذَكِيرَهَا بِعُهُودِ الصَّبَا
يَزُورَانِ جَارًا بُعِيدَ الْعِشَا
وَحَاوَلَ أَنْ يَخْتَفِيَ فَأَخْتَفَى



وما طال أن رجعا للمبيت
وحين أحسّ الفتى وهو مضغ
مشى نحوها لا يحسّ الثرى
وألقت على صدرها كفّه
وقال أتغفين يا مهجتي
وعانق كلّ لذيد الكرى
بزوج حبيبته قد غفا
بمشيته وعليها أنحنى
وقد خفقت كاللوا في الهوا
عسى تحلمين بأبي هنا

فجئت من الذعر ثم ارعوت
ولكنها سمعت صوته
أنا هو «جبروم» ذاك التعيس
فقلت له أخرج بحق السما
ألست ترى أنني زوجة
فإن هو فاجأنا هكذا
وقد ظننت الأمر إحدى الرؤى
يقول أسكتي أنا ذاك الفتى
أنا من أحبك منذ أنتشا
فذاك الهوى عهدُه قد مضى
عليّ لزوجي حقوق الوفا
فأيسر خطبي فقد الهنا

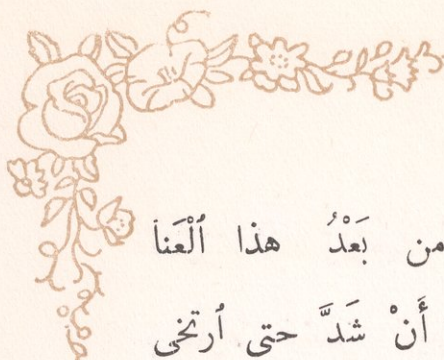
هنا سحقت نفس هذا التعيس
وقد قطعت فيه خيط الرجا



فَلَمْ يُجِدْ مِنْ حُزْنِهِ مَا بَدَا وَلَمْ يَجِدْ مِنْ دَمْعِهِ مَا جَرَى
وَحِينَ أَحَسَّ الرَّدَى مُقْبِلًا وَشِيكًا عَلَى قَدَمَيْهَا جَنًا
وَقَالَ لَهَا طَلِبَةٌ لَا أُرْجِي سِوَاهَا فَرَحْمَاكَ قَبْلَ الْفَنَاءِ
أَنَامُ وَلَوْ لَحْظَةً فِي السَّرِيرِ بِقُرْبِكَ لَا أَبْتَغِي مُبْتَغَى
بَلَا لَمَسَةٍ وَبَلَا هَزَّةٍ أَظَلُّ كَأَنِّي صَفَا أَوْ عَصَا
وَمَا كُنْتُ لَوْ لَا صَقِيعٌ مُمِيتٌ بِقَلْبِي لِأَطْلَبَ هَذَا الدَّفَا
وَبَعْدَئِذٍ أَنَشِي رَاجِعًا وَلَسْتُ أَقُولُ إِلَى الْمُلتَقَى

وَكَانَ كَلَامُ الْفَتَى مُوجِعًا تَذُوبُ بِهِ نَفْسُهُ مِنْ أَسَى
فَرَاخَتْ تُفَكِّرُ فِي شَرْطِهِ وَقَدْ أَطْرَقَتْ لَحْظَةً مِنْ حَيَا
فَكَانَ بَدَا فُرْصَةً لِلْفَتَى فَهَبَّ إِلَى قُرْبِهَا وَأَرْتَمَى

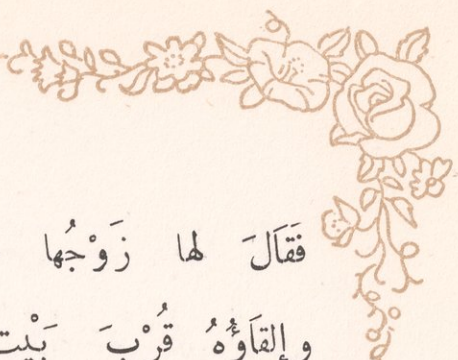
وَإِذْ هُوَ فِي قُرْبِهَا نَائِمٌ تَمَثَّلَ فِي الْفِكْرِ ذَاكَ الْهَوَى
وَمَاذَا تَجَرَّعَ مِنْ ظُلْمِهَا وَأَيُّ سَنَى شَعَّ ثُمَّ أَنْطَفَا



فَصَمَّمَ أَنْ يَسْتَرِيحَ فَلَا يُكَابِدُ مِنْ بَعْدُ هَذَا أَلْعَنَّا
فَشَدَّ إِلَى صَدْرِهِ كَفَّهَا وَمَا هُوَ أَنْ شَدَّ حَتَّى أُرْتَحَى
وَأَطْلَقَ مِنْ صَدْرِهِ زَفْرَةً حَوَتْ كُلَّ مَا عِنْدَهُ مِنْ قُوَى
فَفَارَقَتْ الرُّوحُ جُثْمَانَهَا فَكَانَ الْفِرَاقُ بِذَلِكَ اللَّقَاءِ

وَأَذْهَشَ «سِلْفِينَ» هَذَا الْجُمُودُ وَمَا عَلِمَتْ أَيَّ خَطْبٍ دَهَى
فَظَنَّتْهُ فِي هَجْعَةٍ عَانَقَتْ بِهَا رُوحَهُ رُوحَهَا فَأَنْتَشَى
فَنَادَتْهُ قُمْ وَانصَرَفْ مُسْرِعًا وَإِلَّا غَدَوْتُ حَدِيثَ الْوَرَى
وَمَذْ لَمَسْتُ كَفَّهُ أَجْفَلْتُ وَقَدْ عَلِمْتُ بِجُلُولِ الرَّدَى

هَنَا مُشْكِلٌ يَا لَهُ مُشْكِلًا يَضِيقُ بِهِ ذَرْعُهُ ذُو الْحِجَى
فَقَالَتْ أَرَى رَأَى زَوْجِي بِهِ وَقَامَتْ فَأَحَكَتْ لَهُ مَا جَرَى
وَلَكِنَّهَا لَمْ تُسَمِّ الْمَكَانَ وَلَا أُسَمِّ الْفَتَاةَ وَلَا أُسَمِّ الْفَتَى
تَقْصُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ كَأَمْرِ جَرَى مُنْذُ حِينَ لِإِحْدَى النِّسَاءِ



فَقَالَ لَهَا زَوْجُهَا خَيْرٌ مَا أَرَى فِعْلَهُ نَقْلُ هَذَا أَلْفَتِي
وَالْقَاوُهُ قُرْبَ بَيْتِ أَبِيهِ سَرِيحًا قُبَيْلَ هُجُومِ الصُّحَى
وَمَا أَلَذُّ ذَنْبُ الَّتِي زَارَهَا وَلَكِنَّمَا أَلَذُّ ذَنْبُ الْقَضَا
— عَلَيْنَا إِذْنُ فَعَلُ مَا قُلْتَهُ وَقَدْ جَذَبَتْ يَدَهُ فَاقْتَفَى
عَلَيْكَ بِهِ... وَأَشَارَتْ إِلَى السَّرِيرِ، فَإِنَّ التَّعِيسَ هُنَا
أَجَلٌ رِيعٌ مِمَّا رَأَى زَوْجُهَا وَلَكِنَّهُ لَمْ يَغِبْ عَنْ هُدَى
وَكَانَ بِزَوْجَتِهِ مُؤْمِنًا وَيَعْرِفُهَا مِنْ ذَوَاتِ التَّقَى
فَأَلْقَى الْغُلَامَ عَلَى ظَهْرِهِ وَسَارَ بِهِ تَحْتَ ذَيْلِ الدُّجَى
وَمَا زَالَ حَتَّى أَتَى بَيْتَهُ فَأَلْقَاهُ فِي قُرْبِهِ وَأُثْنَى

وَلَمَّا بَدَأَ فِي الصَّبَاحِ أَلْفَتِي صَرِيحًا يُعَانِقُ وَجْهَ الثَّرَى
تَأَلَّبَتْ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِ وَقَدْ مَلَأُوا بِالْعَوِيلِ الْفَضَا
وَقَدْ فَتَكَ الْيَأْسُ فِي أُمِّهِ فَكَانَتْ تُصَدِّعُ قَلْبَ الصَّفَا
وَقِيلَتْ أَقَاوِيلُ فِي مَوْتِهِ فَمِنْهَا صَوَابٌ وَمِنْهَا خَطَا



وَبَيْنَا الْجِنَازَةَ وَسَطَ الطَّرِيقِ
رَأَى زَوْجُ سَلَفَيْنِ عَيْنَ الصَّوَا
فَقَالَ لَهَا : إِنَّ هَذَا الْفَتَى
يَسِيرُونَ فِيهِ إِلَى قَبْرِهِ
فَهَيَّا بِنَا أَوْ نُشِيرَ الظُّنُونَ
يَخْفُ بِهَا أَهْلُ تِلْكَ الْقُرَى
بِأَنْ لَا يُثِيرَا ظُنُونَ الْمَلَا
الَّذِي صَادَفَتْهُ الْمَنَايَا هُنَا
لِكِي يُودِعُوهُ بَدَارِ الْبَقَا
فَنَبْكِ عَلَى الْمَيِّتِ فِي مَنْ بَكَى

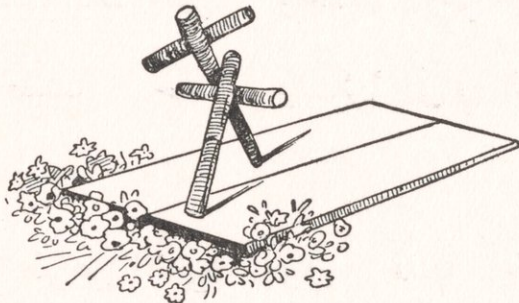
فَكَانَتْ كَمَنْ لَمَعَتْ نَجْمَةٌ
وَقَدْ ذَكَرْتَ حُبَّ ذَاكَ الْفَتَى
فَعَادَ إِلَى قَلْبِهَا حُبُّهُ
وَلَكِنْ أَتَى فِي الزَّمَانِ الْأَخِيرِ
لَهَا فَأَنَارَتْ ظِلَامَ الضَّمِيرِ
وَعَهْدَهُمَا وَهُوَ طِفْلٌ صَغِيرِ

أَتَتْ لِلْكَنِيسَةِ صَرَغَى الْأَسَى
وَمُذْ أَبْصَرَتْهُ مُسَجَّى عَلَى
مَشَتْ نَحْوَهُ بَيْنَ تِلْكَ الْجُمُوعِ
وَفِي قَلْبِهَا غَلِيَانٌ مُبِيرِ
فِرَاشِ الرَّدَى مِثْلَ غُصْنٍ نَضِيرِ
بِقَلْبٍ كَسِيرٍ وَجَفْنٍ مَطِيرِ

وقد سَقَطَتْ فوقه لا تعي وقد أَطْلَقَتْ زَفْرَةً كالسَّعِيرِ
لقد قَتَلَ الحزنُ ذاكَ ألفتي ورأى بِقَتْلِ ألفتَاكَ النَّظِيرِ

أتى الآنَ « جِرومُ » في دَوْرِهِ ليُخْلِيَ « لسلفينَ » نِصْفَ السَّرِيرِ
فَوَارَوْهُمَا وهُمَا هَكَذَا وقد شُيِّعَا بِالْأَسَى والزَّفيرِ
هُمَا أَفْتَرَقَا في الْحَيَاةِ وَلَكِنْ قد أَجْتَمَعَا بَعْدَهَا في الْحَفِيرِ
وقد فَعَلَ الْمَوْتُ مَا لَيْسَ يَقْوَى عَلَى فِعْلِهِ الْحُبُّ ، وهوَ الْقَدِيرُ

١٩١٦





حلم عربي

من وحي « الأغاني » لأبي الفرج الأصبهاني .

مَنْ لِي بِمَعْبَدٍ وَأَبْنٍ عَا ثُشَّةٍ وَمَالِكٍ وَالْغَرِيضِ
بِرِثَاسَةٍ ابْنِ سَرِيحٍ^(١) مُدْتَمِّينَ فِي الرَّوْضِ الْأَرِيضِ
وَبِشَاعِرِ الْغَيْدِ ابْنِ نَخْزُومٍ^(٢) وَنَابِغَةِ الْقَرِيضِ
فِي مِثْلِ لَيْلَاتِ الْوَلِيدِ^(٣) نَقُولُ لِلْكَاسَاتِ فَيُضِي
بَيْنَ الْكَوَاعِبِ مِنْ حَبَا بٍ وَالنَّوَاهِدِ مِنْ بَغِيضِ
يَخْطُرْنَ تَيْهًا فِي غَلَا ثِلْهِنَّ مِنْ حُمْرٍ وَبِيضِ
فَإِذَا نَظَرْنَ فَعَنَ مَرِيضٍ وَإِذَا بَسَمْنَ فَعَنَ وَمِيضِ
عَشْ هُكَذَا يَوْمًا وَتَسْتَفْنِي عَنِ الْعُمُرِ الْعَرِيضِ

١٩١٧

(١) ابن سريج ومعبد وابن عائشة ومالك والغريض هم أشهر المغنين في دولة بني أمية .

(٢) ابن مخزوم هو عمر بن أبي ربيعة المخزومي الشاعر العربي الشهير .

(٣) الوليد هو أحد خلفاء بني أمية المنغمسين في اللهو .



قُبَلَاتُ الْهَوَى

مَا كَانَ أَحَلَى قُبَلَاتِ الْهَوَى إِنَّ كُنْتَ لَا تَذْكُرُ فَاسْأَلْ فَمَكَ
تَمُرُّ بِي كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ تَغْرَكَ أَوْ صَدْرَكَ أَوْ مِعْصَمَكَ
لَوْ مَرَّ سَيْفٌ بَيْنَنَا لَمْ نَكُنْ نَعْلَمُ هَلْ أَجْرَى دَمِي أَوْ دَمَكَ

الْقُبْلَةُ الْأُولَى

إِنَّ كَانَ أَحَلَى الْحُبِّ أَوَّلَ قُبْلَةٍ مَا ضَرَّهُ لَوْ مَاتَ أَوَّلَ عُمرِهِ
كَالزَّهْرِ مَاتَ مُكَفَّنًا بِأَرِيحِهِ وَوَسِيمَ نُضْرَتِهِ وَنَشْوَةِ طَهْرِهِ

كَرِهْتُ الْوَرْدَ

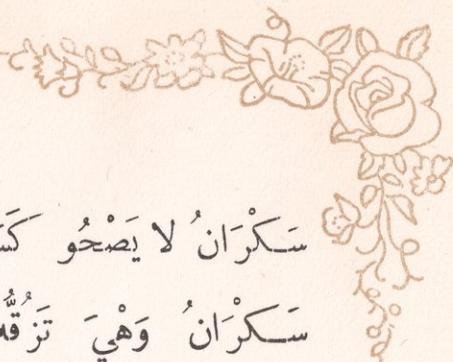
إِذَا مَا وَرْدَةٌ عَرَضَتْ لِنَدْلٍ كَرِهْتُ الْوَرْدَ تَقْبِيلًا وَشَمًّا
لِشَوْكَتِهِ أَحَبُّ الْوَرْدِ حَتَّى إِذَا يَدُ سَافِلٍ غَمَزَتْهُ أَدْمَى



المسأل

حَسَنَاءُ أَيَّ قَتَى رَأَتْ تَصِدْ قَتَلَى الْهَوَى فِيهَا بِلَا عَدَدِ
بَصُرَتْ بِهِ رَثَّ الثِّيَابِ بِلَا مَأْوَى بِلَا أَهْلٍ بِلَا بَلَدِ
فَتَخَيَّرَتْهُ وَكَانَ شَافِعُهُ لُطْفُ الْغَزَالِ وَقُوَّةُ الْأَسَدِ
وَرَأَى الْفَتَى الْأَمَالَ بِاسِمَةٍ فِي وَجْهِهَا لِفُؤَادِهِ الْكَمَدِ
وَالْمَالَ مِلْءَ يَدَيْهِ يُنْفِقُهُ مُتَشَفِّيًا إِنْفَاقَ ذِي حَرَدِ
ظَمَانُ وَالْأَهْوَاءَ جَارِيَةٍ كَالسَّلْسَبِيلِ مَتَى يُرْدُ يَرِدِ
رَوْضٌ مِنَ اللَّذَاتِ طَيِّبَةٍ أَشْمَارُهُ خِلْوٌ مِنَ الرِّصَدِ
نِعَمٌ أَفَانِينَ يَكَادُ لَهَا يَخْتَالُ مِنْ غُلُوَاهُ فِي بُرْدِ
مَاضِيهِ لَوْ يَدْرِي بِحَاضِرِهِ رُغْمَ الْأُخُوَّةِ مَاتَ مِنْ حَسَدِ

سَكْرَانُ وَالْكَاسَاتُ شَاهِدَةٌ إِنَّ الْكُؤُوسَ لَهَا مِنَ الْعُدَدِ



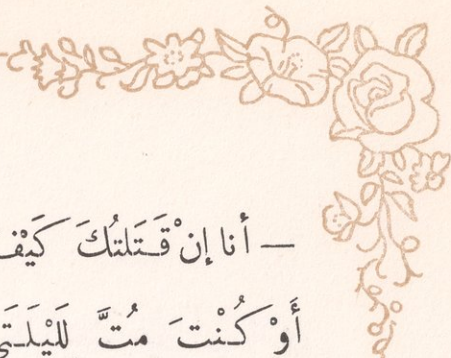
سَكْرَانُ لَا يَصْحُو كَسَكْرَتِهِ أَمْسًا وَسَكْرَتِهِ غَدَاةٌ غَدِ
سَكْرَانُ وَهِيَ تَزُقُّهُ قُبْلًا وَيَزُقُّهَا وَإِذَا تَرَدُّ يَزِدِ
سَكْرَانُ وَهِيَ تَمُصُّ مِنْ دَمِهِ وَتُرِيهِ قَلْبَ الْأُمِّ لِلْوَلَدِ
سَكْرَانُ حَتَّى رَأْسُهُ أَبَدًا لَا يَسْتَقِرُّ لِكثَرَةِ الْأَمِيدِ

« قَالَتْ لَهُ : نَمِّ ، نَمِّ لِفَجْرِ غَدِ ضَعْ رَأْسَكَ الْوَاهِي عَلَى كَبِدِي
نَمِّ لَا تُسَلِّطْ يَا حَبِيبِ عَلَى مَخْمُورِ جِسْمِكَ قَلَّةَ الْجِلْدِ
عَيْنَاكَ مُتَعَبَتَانِ مِنْ سَهَرِ وَيَدَاكَ رَاجِفَتَانِ مِنْ جَهْدِ

لا ، لا أَنَامُ وَلَا أَذُوقُ كَرَى إِنَّ النَّهَارَ مَضَى وَلَمْ يَعُدِ
لا ، لا أَنَامُ وَلَا أَذُوقُ كَرَى أَنَا لَسْتُ مَنْ يَحْيَا لِفَجْرِ غَدِ
سُلِّمَى أَحْسُ النَّارَ سَائِلَةً بَدَمِي وَتَجْرِي مَعَهُ فِي جَسَدِي
وَأَحْسُ قَلْبِي فَاعِرًا فَمَهُ لِلْحُبِّ ، لِلذَّاتِ ، لِلرَّغْدِ
إِنْ ضَاعَ يَوْمِي مَا أَسِفْتُ عَلَى خَضِرِ الرَّبِيعِ وَزُرْقَةِ الْجَلْدِ



— نَمَ لَا تُكَابِرْ كَادَ رَأْسُكَ أَنْ
— يَهْوِي ... نَعَمْ يَا فِتْنَتِي وَمُنَى
يهوي! .. وَلِمَ لَا وَالشَّبَابُ ذَوَى
لَمْ تُبْقِ لِي مَنِي سَوَى رَمَقِ
رَبَّاهُ. مُذْ يَوْمَينِ كُنْتُ فَتَى
وَالْيَوْمَ أُسْرِعُ لِلْبَلَى وَأَنَا
سُلَمَايَ إِنَّكَ أَنْتِ قَاتِلَتِي
وَطَوِيلُ شَعْرِكَ صَارَ لِي كَفْنًا
سُلْمَى أَطْفِي الْأَنْوَارَ وَافْتَتِحِي
وَدَعِي شُعَاعَ الشَّمْسِ يَضْحَكُ لِي
وَدَعِي أَرِيحَ الزَّهْرِ يُنْعِشُنِي
أَنَا إِنْ قَضَيْتُ هَوَى فَلَاطَلَتْ
يَهْوِي بِكَأْسِكَ غَيْرَ أَنْ يَدِي
نَفْسِي وَزَهْرَةَ جَنَّةِ الْخُلْدِ
وَعَلَى شَبَابِي كَانَ مُعْتَمِدِي
مُتَرَاوِحٍ فِي أَضْلَعِ هُمْدِ
لِي قُوَّتِي وَشَيْبَتِي وَغَدِي
لَمْ أَبْلُغِ الْعِشْرِينَ أَوْ أَكْدِ
فَجَمِيلُ جِسْمِكَ مَدْفَنِي الْأَبَدِي
كَفَنَ الشَّبَابِ ذَوَى وَكَانَ نَدِي
هَذِي الْكُوى لِنِسَائِمِ جُدْدِ
فَشُعَاعُهَا بَرْدٌ عَلَى كَبِدِي
وَهَدِيلَ طَيْرِ الْأَيْكَةِ الْغَرْدِ
شَمْسُ الضُّحَى بَعْدِي عَلَى أَحَدِ

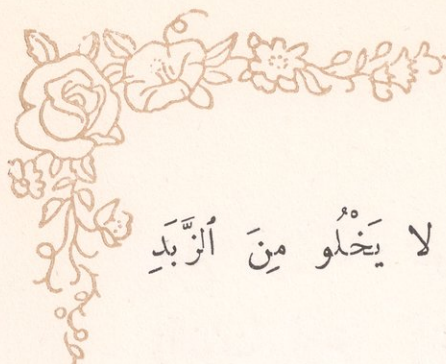


— أَنَا إِن قَتَلْتُكَ كَيْفَ تَحْفَظُنِي إِن صَحَّ زَعْمُكَ حِفْظَ مُقْتَصِدٍ
أَوْ كُنْتَ مِتَّ لِلْيَدَيَّ جَهْدٍ يَا مُهْجَتِي خَفَّفْ وَلَا تَزِدْ

— لَا . أَنْتِ مُحِيطَتِي وَمُنْقِذَتِي مِنْ عَيْشِي الْمُتَنَكَّرِ النَّكِدِ
أَفَأَنْتِ قَاتِلَتِي ؟ كَذَبْتُ أَنَا لَوْلَاكِ كُنْتُ أَذَلَّ مِنْ وَتَدِ
لَكِنَّمَا الْعُشَّاقُ عَادَتُهُمْ ذِكْرُ الْمَنَايَا ذِكْرَ مُفْتَدِ
يَبْكُونَ مِنْ جَزَعٍ لِلذَّيَرِمْ أَنْ لَا تَكُونَ طَوِيلَةَ الْأَمَدِ
قَلْبِي لِقَلْبِكَ خَافِقٌ أَبَدًا وَيَظُلُّ يَخْفِقُ غَيْرَ مُتَمِّدِ

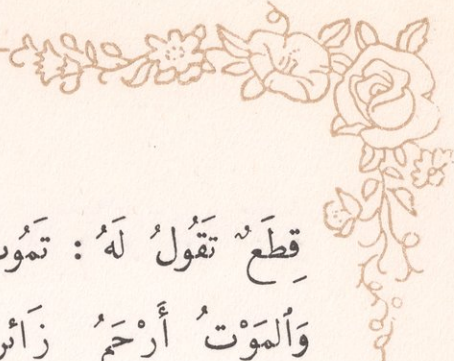
— إِن كَانَ ذَاكَ فَهَذِهِ شَفَتِي مَنْ يَشْتَعِلُ فِي الْحُبِّ يَبْتَرِدِ
وَتَصَافِحَا فَتَعَانَقَا فَهُمَا رُوحَانِ خَافِقَتَانِ فِي جَسَدِ

نَهَبَا أَوْيَقَاتِ الصَّفَاءِ وَقَدْ عَكَفَا عَلَيْهَا عَكَفَ مُجْتَهِدِ
وَتَرَشَّفَا كَأْسَ الْغَرَامِ وَمَا تَرَكََا بِهَا مِنْ نَهْلَةٍ لِصَدِي



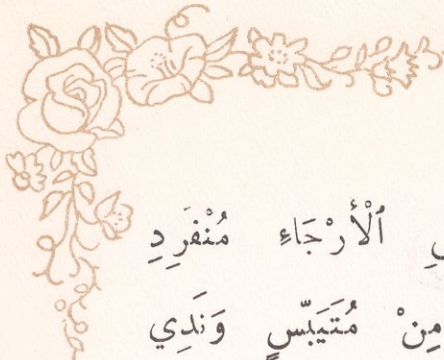
وَمَشَى الْهَوَى بِهِمَا كَعَادَتِهِ وَالْبَحْرُ لَا يَخْلُو مِنْ الزَّبَدِ

سَنَةٌ مَضَتْ فَإِذَا خَرَجْتَ إِلَى
وَلَفَتْ وَجْهَكَ يَمْنَةً فَتَرَى
هَذَا الْفَتَى فِي الْأُمْسِ صَارَ إِلَى
مُتَلَجِّجِ الْأَلْفَاظِ مُضْطَرَبِ
مُتَجَعَّدِ الْخَدَّيْنِ مِنْ سَرَفِ
عَيْنَاهُ عَالِقَتَانِ فِي نَفَقِ
أَوْ كَالْحُبَابِ بَاخَ لَامِعُهُ
تَهْتَزُّ أُنْمُلُهُ فَتَحْسِبُهَا
وَيَكَادُ يَحْمِلُهُ لَمَّا تَرَكْتَ
يَمْشِي بَعْلَتِهِ عَلَى مَهْلٍ
وَيَمْجُ أَحْيَانًا دَمًا فَعَلَى
قَطَعُ تَابِينَ مُفَجَّعَةٍ
ذَاكَ الطَّرِيقِ بظَاهِرِ الْبَلَدِ
وَجْهًا مَتَى تَذْكُرُهُ تَرْتَعِدُ
رَجُلٍ هَزِيلِ الْجِسْمِ مُنْجَرِدِ
مُتَوَاصِلِ الْأَنْفَاسِ مُطَرَّدِ
مُتَكَسِّرِ الْجَفْنَيْنِ مِنْ سُهُدِ
كِسْرَاجِ كُوخٍ نِصْفَ مُتَقَدِّ
يَبْدُو مِنَ الْوَجَنَاتِ فِي خُدِّ
وَرَقِ الْخَرِيفِ أُصِيبَ بِالْبَرْدِ
مِنْهُ الصَّبَابَةُ مِخْلَبُ الصَّرْدِ
فَكَأَنَّهُ يَمْشِي عَلَى قَصْدِ
مَنْدِيلِهِ قِطْعُ مِنَ الْكَبِدِ
مَاتُوبَةً بِدَمٍ بَغِيرِ يَدِ



قَطَعَ تَقُولُ لَهُ : تَمُوتُ غَدًا وَإِذَا تَرَقُّ تَقُولُ بَعْدَ غَدِ
وَالْمَوْتُ أَرْحَمُ زَائِرٍ لِقَتَى مُتَزَمِّلٍ بِالْدَاءِ مُغْتَمِدِ
قَدْ كَانَ مُنْتَحِرًا لَوْ أَنَّ لَهُ شِبْهَ الْقُوَى فِي جِسْمِهِ الْخَضِدِ
لَكِنَّهُ وَالِدَاهُ يَنْهَشُهُ كَالشَّلْوِ بَيْنَ مَخَالِبِ الْأَسَدِ
جَلَدُهُ عَلَى الْأَلَامِ يُنْجِدُهُ طَلَلُ الشَّبَابِ وَدَارِسُ الصَّيْدِ
مُتَوَحِّدٌ أَمَّا الْحَبِيبُ فَمَذُ خَافَ أَنْتِقَالَ الدَّاءِ لَمْ يَعُدِ
فَقَضَى وَلَمْ يَأْنَسْ بِذِي رَحِمٍ يَأْسُو وَلَمْ يَسْعُدْ بِمُفْتَقِدِ
حَاشَا مَدَامِعَهُ وَكُنَّ لَهُ غَوْنًا مَتَى يَسْأَلُ نَدَى تَجْدِ

أَيْنَ الَّتِي عَلِقَتْ بِهِ غُصْنًا حُلُوَ الْمَجَانِي نَاضِرَ الْمَلَدِ
أَيْنَ الَّتِي كَانَتْ تَقُولُ لَهُ ضَعُ رَأْسَكَ الْوَاهِي عَلَى كَبْدِي
نَمْ لَا تُسَلِّطْ يَا حَبِيبَ عَلَى نَحْمُورِ جِسْمِكَ قِلَّةَ الْجِلْدِ
مَاتَ الشَّقِيُّ بِهَا وَقَدْ سَلِمَتْ يَا لِلْقَتِيلِ قَضَى بِلَا قَوَدِ



مَاتَ الْقَتَى فَأَقِيمَ فِي جَدَثٍ مُسْتَوْحِشٍ الْأَرْجَاءِ مُنْفَرِدٍ
 مُتَجَلِّلٍ بِالْفَقْرِ مُؤْتَزِرٍ بِالنَّبْتِ مِنْ مُتَيْبَسٍ وَنَدِي
 وَتَزُورُهُ حِينًا فَتَوْنِسُهُ بَعْضُ الطُّيُورِ بِصَوْتِهَا الْغَرْدِ
 كَتَبُوا عَلَى حَجَرَاتِهِ بِدَمٍ سَطْرًا بِهِ عِظَةٌ لَدِي رَشَدٍ
 هَذَا قَتِيلُ هَوَى بِنْتِ هَوَى فَإِذَا مَرَرْتَ بِأُخْتِهَا فَحَدِّ

١٩١٩





أغصاضة يارَوْض؟

عِشْ أَنْتِ . إِنِّي مُتٌ بَعْدَكَ وَأُطِلُّ إِلَى مَا شِئْتَ صَدَّكَ
كَأَنْتِ بَقِيَّةٌ لِلْغَرَا مِ بِمُهْجَتِي فَخَتَمْتُ بَعْدَكَ
أُنْقَى مِنَ الْفَجْرِ الضَّحْوِ كِ وَقَدْ أَعْرَتِ الْفَجْرَ خَدَّكَ
وَأَرَقْتُ مِنْ طَبْعِ النَّسِيمِ وَقَدْ خَلَعْتَ عَلَيْهِ بُرْدَكَ
وَأَلَذُّ مِنْ كَأْسِ الْنَدِيمِ وَقَدْ أَبَحْتَ الْكَأْسَ شَهْدَكَ

مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ عَدَلْتَ أَمَا رَأَتْ عَيْنَاكَ قَدَّكَ
وَجَعَلْتَ مِنْ جَفْنِي مُسْكًا وَمِنْ عَيْنِي مَهْدَكَ
وَرَفَعْتَ بِي عَرْشَ الْهَوَى وَرَفَعْتَ فَوْقَ الْعَرْشِ بَنْدَكَ

يَا مَنْ أَسَاءَ بِي الظُّنُّ نَ ثَلَمَتْنِي وَثَلَمْتَ حَدَّكَ



إِنْ لَمْ يَكُنْ أَدَبِي فَخُلِّمْكَ كَانَ أُولَى أَنْ يَصُدَّكَ
أَغْضَاظَةً يَا رَوْضُ إِنْ أَنَا شَاقِنِي فَشَمَمْتُ وَرَدَكَ
وَمَلَامَةً يَا قَطْرُ إِنْ أَنَا رَاقِنِي فَأَمَمْتُ وَرَدَكَ

وَحَيَاةٍ عَيْنِكَ وَهِيَ عِنْدِي مِثْلَمَا الْقُرْآنُ عِنْدَكَ
مَا قَلْبُ أُمِّكَ إِنْ تَفَا رِقْمًا وَلَمْ تَبْلُغْ أَشَدَّكَ
فَهَوَتْ عَلَيْكَ بِصَدْرِهَا يَوْمَ الْفِرَاقِ لَتَسْتَرِدَّكَ
بِأَشَدِّ مِنْ خَفَقَانٍ قَدْ بِي يَوْمَ قِيلَ خَفَرْتَ عَهْدَكَ

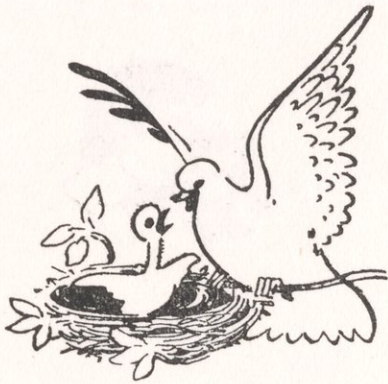
١٩٢٤



خيال من دمر

يا عيوناً أَوْحَتْ إِلَيْنَا الْغَرَامَا أَجُنُونًا سَقَيْتِنَا أَمْ مُدَامَا
 آيَةُ الْحُبِّ أَنْ تَظَلِّي رَبِيعًا لِفُؤَادِي وَأَنْ يَظَلَّ هَيَامَا
 أَيُّهَا الدَّوْحُ دَوْحُ دُمَّرَ إِيَّيْ لَسْتُ أَنْسَى تِلْكَ اللَّيَالِي الْيَتَامَى
 يَا بَسَاطَ الْهَوَى وَيَا وَتَرَ الشَّعْرِ سَلَامًا وَيَا شَقِيقَ الْنَدَامَى
 سَأَلْتَنِي وَكَفَّهَا فَوْقَ قَلْبِي عَمْرُكَ اللَّهُ هَلْ تُحِبُّ الشَّامَا
 قُلْتُ حُبًّا زَقَّ الْحَمَامَةُ لِلْفَرِّ خَرَفَلِمَ لَا نَكُونُ ذَاكَ الْحَمَامَا؟

١٩٣٢





سكران والكاسات شاهدة إن الكئوس لها من العدد

(صفحة ١٠٤)



Sketch of a hillside or architectural structure.



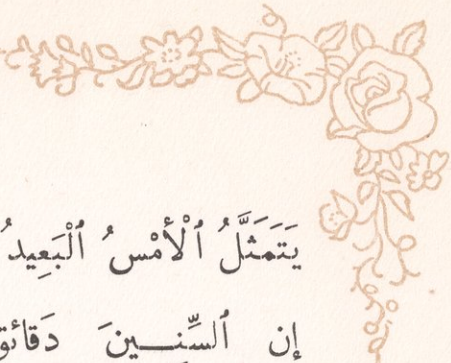
زَحَلَةٌ

في جلسة على الوادي بين إخوان الصفاء .

يَا زَحَلْ كَمْ مِنْ شَاعِرٍ لَكَ عَاشِقٍ لَوْلَا الَّذِي تُوحِينَا لَمْ يَكْ شَاعِرًا
أَسْرَفَتْ فِي فِتْنِ الْجَمَالِ كَأَنَّمَا تَخِذَ الْجَمَالُ عَلَى ذُرَاكِ مَنَابِرَا
وَالنَّهْرُ رُوحُ الْعَاشِقِينَ وَدَمْعُهُمْ مُلْقَى عَلَى قَدَمَيْكَ يَلْهَثُ خَائِرَا
سَأَلَتْ جِرَاحَاتُ الْهَوَى فِي صَدْرِهِ لَيْلًا فَقَبَّلَهَا النَّسِيمُ مُحَاذِرَا
و«السَّهْلُ»^(١) يَحْلُمُ مُنْذُ كَانَ بِزُورَةٍ لَبَسَ الْحُلِيَّ لَهَا نَدَى وَأَزَاهِرَا
لَوْ كَانَ يُمَكِّنُهَا الرَّبِّي لَتَسَابَقَتْ لِأَعَزِّهَا تَسْعَى إِلَيْكَ حَوَاسِرَا
وَتَقَطَّعَتْ خُصْلُ الْحِسَانِ وَنُشِرَتْ بَدَلِ الْكُرُومِ عَلَى التَّلَالِ غَدَائِرَا

قُلْ لِلْأُولَى أَحْبَبْتُ زَحَلَةً فِيهِمْ أَنَا لَا أَزَالُ لَهُمْ مُحِبًّا ذَاكِرَا
لَبَكَيْتُهُمْ لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ أَدْمَعًا وَعَظَفْتُهُمْ لَوْ كُنْتُ أَعْطِفُ هَاجِرَا

(١) سهل البقاع .



يَتَمَثَّلُ الْأَمْسُ الْبَعِيدُ لِخَاطِرِي فَأَكَادُ أَرْشُفُهُ لَمَّى وَمَحَاجِرَا
إِنْ السِّنِينَ دَقَائِقُ لِمَتِيْمٍ ذَكَرُوا لَهُ الْمَاضِي فَمَلَّ الْحَاضِرَا

يَا جَنَّةَ الدُّنْيَا وَسَيِّدَةَ الرَّبِّي هَذَا رَسُولُ الشَّعْرِ جَاءَكَ زَائِرَا
إِنْ شِئْتَ شَقَّ مِنَ الرِّيَاضِ صَحَائِفَا وَأَصَابَ مِنْ أَزْهَارِهَا مَحَابِرَا
وَأَذَابَ ذَرَّاتِ الضِّيَاءِ قَصَائِدَا حَتَّى تَكُونَ لِمِعْصَمِيكِ أَسَاوِرَا
هَلْ تُنْبِتِينَ سِوَى النِّسَاءِ خَوَافِرَا أَوْ تُطْلِعِينَ سِوَى الرِّجَالِ مَفَاحِرَا
إِنْ رَقَّ شِعْرُهُ كُنْتَ بَيْتَ قَصِيدِهِ أَوْ رَاقَ وَجْهُهُ كُنْتَ فِيهِ النَّظِيرَا

١٩٣٢





الجبَلُ المِلْهَمُ

إلى الشاعر شارل قرم وقد أهدى إلى الشاعر
ديوانه « الجبل الملهم » باللغة الفرنسية .

زَهْرَةٌ مِلْءُ عُمُودِ الْأَمَلِ فِي الرَّبِّيِ الْخَضْرَاءِ
نَبَتَتْ بَيْنَ أَزْرِقَاقِ الْجَدُولِ وَالسَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ

هِيَ حُلْمُ الْغَابِ فِي السَّفْحِ الْوَدِيعِ سَلَوَةُ الرَّاعِي إِذَا ضَاعَ الْقَطِيعُ
وَرَبِيعُ الشَّعْرِ إِنْ مَاتَ الرَّبِيعُ عِلْمُ الْبُلْبُلِ سِحْرُ الْبُلْبُلِ
لَعِبَهَا بَيْنَ أَزْرِقَاقِ الْجَدُولِ وَالسَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ

شَعْرُ صَنِينِ الْجَمِيلِ الْأَبْيَضِ يَفْرِشُ الْأَرْضَ لَهَا إِذْ تَرَكَضُ
وَعُمُودُ الْأَرْضِ لَيْسَتْ تَغْمِضُ حَائِطًا « قَبْلَتَهُ » بِالْقَبْلِ
هَائِمًا بَيْنَ أَزْرِقَاقِ الْجَدُولِ وَالسَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ

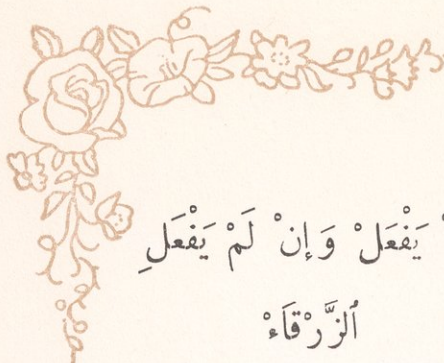


وَبُذِّيَاتُ الْقُرَى قُرْبَ الْمَغِيبِ عِنْدَمَا عُدْنَ مِنَ الْكَرَمِ الْحَبِيبِ
بِالْعَنَاقِيدِ ، سَرَتْ نَفْحَةُ طِيبِ فَإِذَا الزَّهْرَةُ تَرْنُو مِنْ عَلِ
وَلَهَا زُرْقَةُ مَاءِ الْجَدُولِ وَالسَّمَاءُ الزَّرْقَاءُ

إِنْ يَمُرَّ الْغَيْمُ أَسْرَابًا عَلَيْهَا يَتَّخِذُ شَكْلًا لِيُغْرِي نَاطِرِيهَا
صُورًا أَوْ لَعِبًا تَحْلُو لَدَيْهَا تَارَةً يَدْنُو وَحِينًا يَعْتَلِي
رَاقِصًا بَيْنَ أَزْرِ قَاقِ الْجَدُولِ وَالسَّمَاءُ الزَّرْقَاءُ

عِنْدَمَا النَّحْلُ أَثْنَى عَنْ ثَغْرِهَا سَأَلَتْهُ أُمُّهُ عَنْ سِرِّهَا
وَأُسْمٍ مَنْ تَحْمِلُهُ فِي صَدْرِهَا قَالَ مَهْ ، هَذِهِ فَخْرُ الْجَبَلِ
هَذِهِ الزَّهْرَةُ بِنْتُ الْجَدُولِ وَالسَّمَاءُ الزَّرْقَاءُ

نَشَرَتْ فِي «الْغَرْبِ» شَيْئًا مِنْ شَذَاهَا فَانْتَشَى حَتَّى انْحَنَى يَلْتِمُ فَاهَا



لَيْتَهُ يَذْكَرُ بِالرَّفْقِ «أَبَاهَا»^(١) وَهُوَ إِنْ يَفْعَلْ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلْ
فَفَدَى الزَّهْرَةَ بِنْتِ الْجَدُولِ وَالسَّمَاءَ الزَّرْقَاءَ

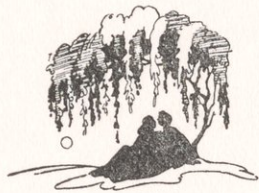
(١) يريد به الشرق .



سَيِّلِ اللَّيْلِ

سَيِّلِ اللَّيْلِ عَنْ عَيْنِي إِذَا رَأَيْتُكَ الْفَجْرُ أَفَارَ بِهَا إِلَّاكَ وَالْأَنْجُمُ الزُّهْرُ
 قَسَمْتُ فُؤَادِي بَيْنَ بُؤْسِي وَالْهُوَى فَهَذَا لَهُ شَطْرٌ وَهَذَا لَهُ شَطْرُ
 حَيَاتِي هَلْ تَغْرُ الْبِنَفْسِجَ يَفْتَرُ كَعَهْدِي وَهَلْ يَجْرِي كَعَادَتِهِ النَّهْرُ
 وَهَلْ يَذْكُرُ الصَّفْصَافُ إِذْ نَحْنُ عِنْدَهُ وَفِي أُذُنِ الظَّلَمَاءِ مِنْ هَمْسِنَا نَقْرُ
 سَقِيتُ مَرَارَاتِ الْحَيَاةِ فَلَمْ أَجِدْ كَمَثَلِ الَّذِي يَسْقِيهِ مِنْ كِفْكِ الْهَجْرِ
 وَأَشَقَى شَقِيٍّ فِي الْوَرَى قَلْبُ شَاعِرٍ نَبَا الْحِظُّ عَنْهُ وَالتَّقَى الْحُبُّ وَالْفَقْرُ
 فِي كُلِّ أَفْقٍ مِنْ أَمَانِيهِ مَا تَمَّ وَفِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْ جَوَارِحِهِ قَبْرُ

١٩٣٣

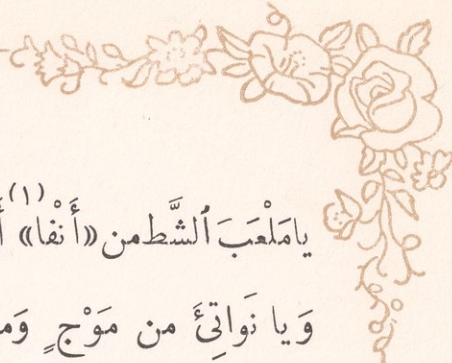




سَلَمَى الْكُورَانِيَّة

ألقيت هذه القصيدة في الحفلة التي أقامتها جمعية
من كرائم السيدات في بشمزين من قضاء الكورة
في أيلول ١٩٣٣

تَعَجَّبَ اللَّيْلُ مِنْهَا عِنْدَمَا بَرَزَتْ تَسْلُسِلُ النُّورَ فِي عَيْنَيْهِ عَيْنَاهَا
فَظَنَّهَا وَهِيَ عِنْدَ الْمَاءِ قَائِمَةٌ مَنَارَةٌ ضَمَّهَا الشَّاطِي وَفَدَّاهَا
وَتَمَتَّتْ نَجْمَةٌ فِي أُذُنِ جَارَتِهَا لَمَّا رَأَتْهَا وَجُنَّتْ عِنْدَ مَرَّآهَا
أَنْظُرُنَا يَا إِخْوَتَا هَذِي شَقِيقَتُنَا فَمَنْ تَرَاهُ عَلَى الْغُبَاءِ أَلْقَاهَا؟
أَتِلْكَ مَنْ حَدَّثَتْ عَنْهَا عَجَائِزُنَا؟ وَقُلْنَ إِنَّ مَلِيكَ الْجِنِّ يَهْوَاهَا
فَأَطْلَقَ الْمَارِدَ الْجَبَّارَ عَاصِفَةً تَغْزُو النُّجُومَ فَكَانَتْ مِنْ سَبَايَاهَا
قَصَّتْ نَجِيمَتُنَا الْحَسَنَاءُ بِدَعْتِهَا عَنْ «نَجْمَةِ الشَّطِّ» وَالْأَذَانُ تَرَعَاهَا
وَكَانَ بِالْقُرْبِ مِنْهَا كَوْكَبٌ غَزَلُ يُصْغِي، فَلَمَّا «رَأَاهَا»، سَبَّحَ اللَّهُ
وَرَاحَ يُقْسِمُ أَنْ لَا بَاتَ لَيْلَتُهُ إِلَّا عَلَى شَفَتَيْهَا لَاثِمًا فَآهَا

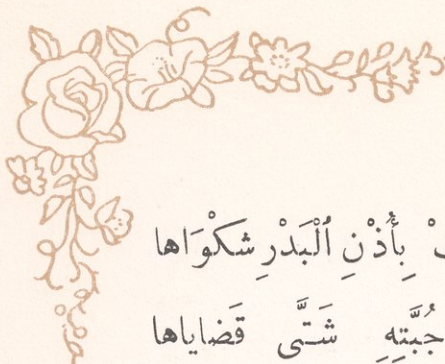


يَا مَلْعَبَ الشَّطْمَنِ ^(١) «أَنْفَا» أَتَعْلَمُ مَنْ
وَيَا نَوَاتِيٍّ مِنْ مَوْجٍ وَمَنْ زَبَدٍ
وَأَنْتِ يَا هَضْبَةً فَازَتْ بِعُزَّتِهَا
دَاسَتْ عَلَى صَدْرِكَ الْبَازِيَّ رَجُلًا هَا
أَنْتِ عَلَيْنَا وَحَسْبُ الْفَخْرِ نَهْدَا
فَدَتْكَ مِنْ هَضْبَاتِ الشَّعْرِ أَسْمَا هَا

وَحَيْمَ الصَّمْتِ فِي الشَّاطِئِ سِوَى لُجَجٍ
وَنَاحٍ مِنْ «عَتَابَا» ^(٢) فَوْقَ مُتَّكِلٍ
وَالشَّطُّ فِي الصَّيْفِ جَنَاتٌ مُفَوَّفَةٌ
إِذَا أَرْتَكَ الْجِبَالَ الْغَيْدَ كَاسِيَةً
بَعِيدَةً تَتَرَامَى فِيهِ أَصْدَا هَا
مِنْ الصُّخُورِ تَغْنَاهُ شَقِيقَا هَا
كَمْ فَاحَرَ الْجَبَلَ الْعَالِيَّ وَكَمْ بَاهَى
فَالشَّطُّ أَذُوقُ مِنْهَا حِينَ عَرَّاهَا

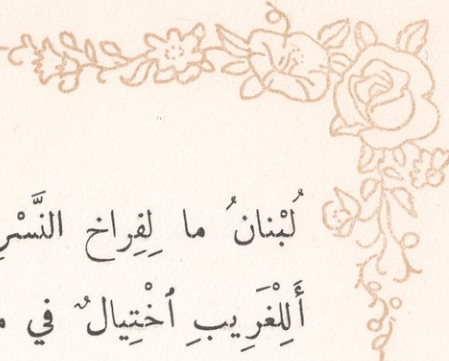
أَمَّا سُلَيْمَى فَلَا أَدْرِي أَدْمَعْتُهَا
وَذَلِكَ الْأَبْيَضُ الْمَنْشُورُ فِي يَدِهَا
كَأَنَّمَا الْبَدْرُ قَدَمًا كَانَ خَادِمَهَا
تَقْرَأُ هَوَاهَا عَلَى أَنْوَارِ غُرَّتِهِ
تِلْكَ الَّتِي لَمَعَتْ لِي أَمْ ثَنَايَا هَا
مِنْ دِيلِهَا أَمْ سَطُورُ الْحُبِّ تَقْرَأُهَا
فَمَذُ أَرَادَتْهُ نَادَتْهُ فَلَبَّاهَا
وَقَدْ تُسِرُّ إِلَيْهِ بَعْضَ نَجْوَاهَا

(١) أَنْفَا : اسم بلدة على الشط من قرى الكورة . (٢) نوع من الغناء اللبناني .



وَمَا أَصَابَ الْهَوَى نَفْسًا وَأَشَقَّاهَا
كَأَنَّهُ حَكَمُ الْعُشَّاقِ كَمْ وَسَّعَتْ
أَوْ كَاهِنُ الْأَزَلِ الْحَالِي بِشَيْبَتِهِ
أَمَا سُلِّمِي فَمَا زَاغَتْ وَلَا عَثَرَتْ
تَعَلَّقَتْهُ طَرِيرًا كَالِهَلَالِ عَلَى
نَمَتِهِ لِلشَّرَفِ الْأَسْمَى عُمُومَتُهَا
مَنْ كَانَتْ الْكُورَةُ الْخَضْرَاءُ مَنِيْبَتُهُ
إِلَّا وَالْقَتِّ بِأُذُنِ الْبَدْرِ شَكْوَاهَا
بَيْضَاءُ جُبَّتِهِ شَتَّى قَضَايَاهَا
قَبَّالُ تَوْبَتِهَا مَاحِي خَطَايَاهَا
فَالْحُبُّ وَالطُّهْرُ يُمْنَاهَا وَيُسْرَاهَا
غُصْنٍ مِنَ الْبَانِ مَاضِي الْعَزْمِ تَيَّاهَا
وَنَشَأَتْهُ عَلَى مَا كَانَ جَدَّاهَا
فَلَيْسَ يُنْبِتُ إِلَّا الْمَجْدَ وَالْجَاهَا

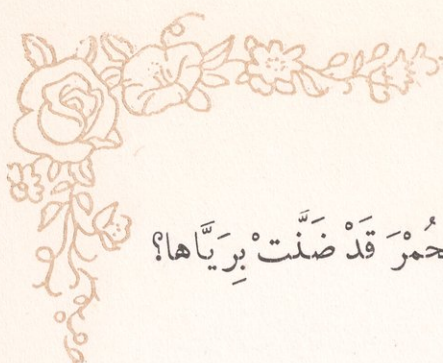
أَحَبَّهَا وَأَحَبَّتُهُ وَعَاهَدَهَا
وَأَنَّهُ سَوْفَ يَسْعَى سَعَى مُجْتَهِدٍ
فَيَبْنِيَا فِي ظِلَالِ الْأَرْضِ وَكُرْمَا
وَرَاغٍ يَقْرَعُ بَابَ الرِّزْقِ مُشْتَمِلًا
حَتَّى أَنْتَنِي وَعَلَى أَجْفَانِهِ بَلَلٌ
أَنْ لَا يُظْلِلَهُ فِي الْحُبِّ إِلَّاهَا
حَتَّى يُوْطَى «لِلْكَامِلِ» مَسْرَاهَا
وَيَجْرَعَا مِنْ كُؤُوسِ الْحُبِّ أَشْهَاهَا
بِعَزْمَةٍ سَنَهَا عِلْمٌ وَأَمْضَاهَا
وَدَّ الْإِبَاهَ لَهَا لَوْ كَانَ أَعْمَاهَا



لُبْنَانُ مَا لِفِرَاحِ النَّسْرِ جَائِعَةً
أَلِلْغَرِيبِ اخْتِيَالٌ فِي مَسَارِحِهَا
لَا، لَمْ أَجِدْ لَكَ فِي الْبُلْدَانِ مِنْ شَبِّهِ
لَوْ مَسَّ غَيْرَكَ هَذَا الدُّلُّ مِنْ أَسَدٍ
قَالُوا «الْصَّدَاقَةُ»^(١) قُلْنَا أَيْنَ شَاهِدُهَا
أَكَلَمَا طُورِدَ الشُّذَّازُ فِي بَلَدٍ
وَنَحْنُ لَوْ نَوَلَّوْا الْأَرْزَاءِ بُغْيَتَهَا
وَالْأَرْضُ أَرْضُكَ أَعْلَاهَا وَأَدْنَاهَا
وَلِلْقَرِيبِ أَنْزِوَاءُ فِي زَوَايَاهَا ؟
وَلَا لِنَاسِكَ بَيْنَ النَّاسِ أَشْبَاهَا
لَعَضَّ جَبْهَتَهُ سَيْفٌ وَحَنَّاها
أَعِنْدَمَا تَلَفِظُ الْأَجْدَاثُ مَوْتَهَا
أَوْ مَا «الْعَمِيدُ» وَلُبْنَانُ تَبَنَّاها
وَأَمَرُوهَا لَكُنَّا مِنْ رَعَايَاهَا

بَكَى فُوَادٌ لِسُلْمَى وَالْبِلَادِ مَعًا
فَحَمَلَ الْمَوْجَ مِنْ أَشْجَانِهِ حُمَاً
وَقَالَ - وَالْيَأْسُ يَمْشِي فِي جَوَارِحِهِ -
كَأَنَّ مَا غَرَسَ الْآبَاءُ مِنْ ثَمَرٍ
وَمَا بَنَوْهُ عَلَى الْأَحْقَابِ مِنْ أُطْمٍ
وَأَنْفُسٍ رَضِيَتْ فِي الدُّلِّ مَثْوَاهَا
وَشَدَّ يَضْرِبُ أُولَاهَا بِأَخْرَاهَا
دِيَارُ سُلْمَى عَلَى رُغْمٍ هَجَرْنَاها
لِغَيْرِ أَبْنَائِهِمْ قَدْ طَابَ مَجْنَاهَا
لِغَيْرِ أَبْنَائِهِمْ قَدْ حَلَّ سُكْنَاهَا

(١) يريد بها الشاعر ما كانوا يسمونه الصداقة التقليدية بين لبنان وفرنسا .



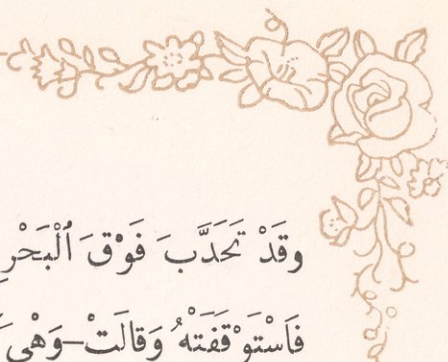
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّيحَيْنِ الَّتِي سُقِيتُ
دُمُوعَنَا الْحُمْرَ قَدْ ضَنَّتْ بِرِيَّاهَا؟

خَمْسُ مِنَ السَّنَوَاتِ السُّودِ لَارْجَعَتْ
وَحُبُّ سُلَمَى وَرَيْقُ مِثْلُ أَوَّلِهِ
تَمْضِي لِوَاجِبِهَا حَتَّى إِذَا انْصَرَفَتْ
صَبَّتْ عَلَى رَأْسِ لُبْنَانَ بَلَايَاهَا^(١)
سَقَمَتْهُ مِنْ ذِكْرِيَاتِ الْأَمْسِ أَنْدَاهَا
فَلَيْسَ يَشْغَلُهَا إِلَّا «فُؤَادُهَا»

سَلَمَى أَرَى الشَّمْسَ فِي خَدَيْكَ ضَاحِكَةً
أَنْفَحَةً مِنْ «فُؤَادٍ»؟ كَدْتَ أَقْرَؤَهَا
أَمْ سَوْرَةً مِنْ عِتَابٍ؟ أَيُّ فَاجِئَةٍ
قُولِي فَلَيْسَ سِوَى الْخُلُجَانِ تَسْمَعُنَا
أَوْ فَأَمْرِي الطَّرْسُ يَغْدُو لِلْهَوَى قُبْلًا
وَكُنْتُ كَالْغَيْمَةِ الْمُقْطُوبِ جَفْنَاهَا
فَنِي عُيُونِكَ مَبْنَاهَا وَمَعْنَاهَا
فِي لَحْظَةٍ صَبَغَ الْخَدَّيْنِ لَوْنَاهَا
وَرَقْرِقِيهَا سُلَافًا فَوْقَ حَصْبَاهَا
حُمْرًا تَرْصَعُ أَجْيَادًا وَأَفْوَاهَا

وَأَشْرَفَ الْبَدْرُ يَهْوِي نَحْوَ مَغْرِبِهِ
حَتَّى أَتَى الضُّفَّةَ الْأُخْرَى وَحَاذَاهَا

(١) إشارة إلى سنوات الحرب العالمية الأولى .



وَقَدْ تَحَدَّبَ فَوْقَ الْبَحْرِ يَفْحَصُهُ
كَغَادَةٍ - وَهِيَ تَلْهُو - ضَاعَ قُرْطَاهَا
فَاسْتَوْقَفَتْهُ وَقَالَتْ - وَهِيَ كَاسِفَةٌ -
رِسَالَةً « لِفُؤَادٍ » أَوْ مُؤَدَّاهَا

قُلْ لِلْحَبِيبِ إِذَا طَابَ الْبِعَادُ لَهُ
وَأُسْتَأْسِرَتْهُ وَإِخْوَانًا لَهُ سَبَقُوا
إِنَّا إِذَا ضَيَّعَ الْأَوْطَانَ فَتَيْتُهَا
حَسْبُ الْبُنُوءَةِ إِنْ ضَاقَ الرِّجَالُ بِهَا
وَنَقَلَ النَّفْسَ مِنْ سُلْمَى لِلْيَلَاهَا
مَظَاهِرُهُ مِنْ رَحَاءٍ مَا عَرَفْنَاهَا
وَأُسْتَوْثَقُوا بِسِوَاهَا مَا أَضَعْنَاهَا
أَنَّ الَّتِي أَرْضَعَتْهَا الْمَجْدَ أَنْشَاهَا



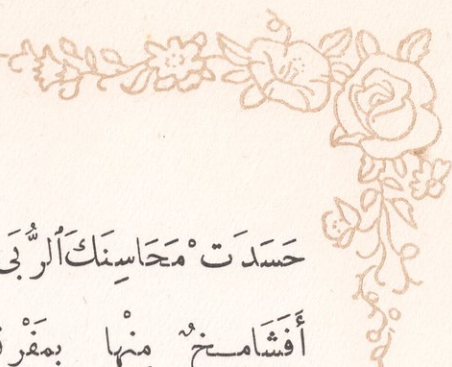


زَاهِرَةُ الرَّبِّيِّ

احتفل أصدقاء الوطني فارس مشرق بإقامة تمثال له في
ضهور الشوير وقد أقيمت هذه القصيدة في تلك الحفلة .

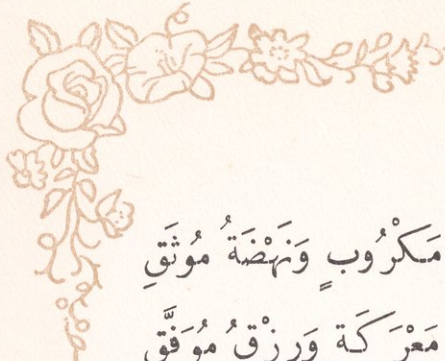
يَا أُخْتَ زَاهِرَةَ الرَّبِّيِّ كَمْ قُبْلَةً
لَمْ أَنْسَ حِينَ دَخَلْتُ رَوْضَكَ غُدُوءَةً
فَقَطَعْتُ أَوَّلَ قُبْلَةٍ مِنْ وَرْدَةٍ
لِي فِيكَ عِنْدَ الْمُنْحَنِ وَعَقِيْقَةٍ
غَذَّيْتُ مَاضِيَهَا بِأَكْثَرِ مَا مَضَى
بِأَخِي هَوَى مُتَمَاسِكٍ فِي أَضْلَعِي
شَقَّتْ مَرَائِرُهُ أَسَى وَتَأَوُّهَا
مَا كَانَ ضَرَّ اللَّهِ لَوْ سَعَفَ الصَّبَا
ذَهَبَتْ بِنُضْرَتِهِ مَكَافَحَةُ الْهَوَى
مَا زِلْتُ أَتَّبِعُ الْجَمَالَ فَلَمْ أَجِدْ
إِلَّاكَ «يَا ضَهْرَ الشَّوَيْرِ» فَأَنْتِ مِنْ

مِنْ عَاشِقٍ وَتَحِيَّةٍ مِنْ شَيْقٍ
وَالزَّهْرُ بَيْنَ مُزَرَّرٍ وَمُشَقِّقٍ
وَرَشَفْتُ أَوَّلَ مَبْسَمٍ مِنْ زَنْبَقٍ
ذِكْرِي تَطَوَّفُ بِالْجُفُونِ وَتَسْتَقِي
مِنْ صَبَوْتِي وَالْيَوْمَ جِئْتُ بِمَا بَقِيَ
سَمَحَ عَلَى شَيْعِ الْجَمَالِ مُفَرَّقٍ
أَنْ فَاتَهُ الْحُسْنُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقْ
فَاطَالَ فِي أَجْلِ الشَّبَابِ الرَّيِّقِ
حَتَّى أُرْعَوَى عَنْ أَغْصَنِ لَمْ تُورِقِ
حُسْنًا يَدُومُ وَجِدَّةً لَمْ تَخْلُقْ
حَدَّثَ الْيَلِيَّ وَالْخُلُودَ بِمَوْثِقِ



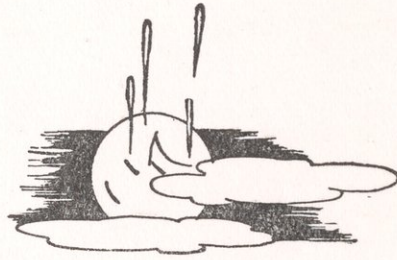
حَسَدَتْ مَحَاسِنَكَ الرَّبِّي فَتَأَوَّهَتْ
أَفْشَامِخُ مِنْهَا بِمَفْرِقِ تَائِهِ
صَلَّى لَكَ الْوَادِي بِرَهْبَةٍ نَاسِكٍ
وَأَبُو الرَّبِّي صَنِينُ قَامَ كَشَمْعَةٍ
يَتَوَقَّدُ النَّجْمُ السَّيُّ بِرَأْسِهَا
لَكَ فِي السَّمَاءِ نَجُومُهَا فَتَلَشَّيْ
وَعَلَيْكَ مِنْ وَشْيِ الْحَضَارَةِ مِطْرَفُ
فَإِذَا وَدَعْتَ فِرْقَةً وَتَعَفَّفُ
غُدْرَانُهَا فِي جَفْنِهَا الْمَغْرُورِقِ
وَلَأَنْتِ أَجْمَلُ وَرْدَةٍ فِي مَفْرِقِ
وَضَبَابِ مِبْخَرَةٍ وَهَامَةٍ مُطْرِقِ
بَيْضَاءُ تُمْعِنُ فِي السَّحَابِ وَتَرْتَقِي
فَتَرَى بَوَادِرَ دَمْعِهَا الْمُتَرَقِّقِ
وَعَلَى الْمِهَادِ زُهُورُهَا فَتَمَنْطَقِي
رَفَّتْ عَلَيْهِ صِنْعَةُ الْمُتَانِقِ
وَإِذَا زَاهَوْتَ - وَلَا إِخَالُ - فَأَخْلِقِ

إِيهِ فَتَى لُبْنَانَ كَمْ مِنْ وَقْفَةٍ
وَالْأَفْقُ أَكْدَرُ وَالْخُطُوبُ حَوَاسِرُ
نَصَبُوا لَكَ التَّمْثَالَ قِسْطَ مُجَاهِدِ
فَخَلَدَتْ فِي الدُّنْيَا وَأَنْتِ بِأَخْتِهَا
إِنِّي ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ مُخَيِّمُ
لَكَ فِيهِ بَيْنَ مَغِيبِهِ وَالْمَشْرِقِ
وَالظُّلْمُ يَنْتَخِبُ الْكَرَامَ وَيَنْتَقِي
مِنْ قَوْمِهِ وَشَهَادَةً لِمُحَقِّقِ
مَا زِلْتَ بَيْنَ مُكَذِّبٍ وَمُصَدِّقِ
وَبَرَاعِمُ الْأَقْلَامِ لَمْ تَتَفَتَّقِ



أَيَّامَ أَطِيبُ مَا تَعَلَّلْنَا الْمُنَى
وَالْيَوْمَ نَحْنُ وَلَا إِخَالُكَ جَاهِلًا
تَقْرِيجُ مَكْرُوبٍ وَنَهْضَةُ مُوثِقِ
أَسْلَابُ مَعْرَكَةٍ وَرِزْقُ مُوَفَّقِ
أَسْرَى وَلَا أَطَوَّاقَ فِي أَجْيَادِنَا
لَيْسَ الْحَمَامُ جَمِيعُهُ بِمُطَوَّقِ

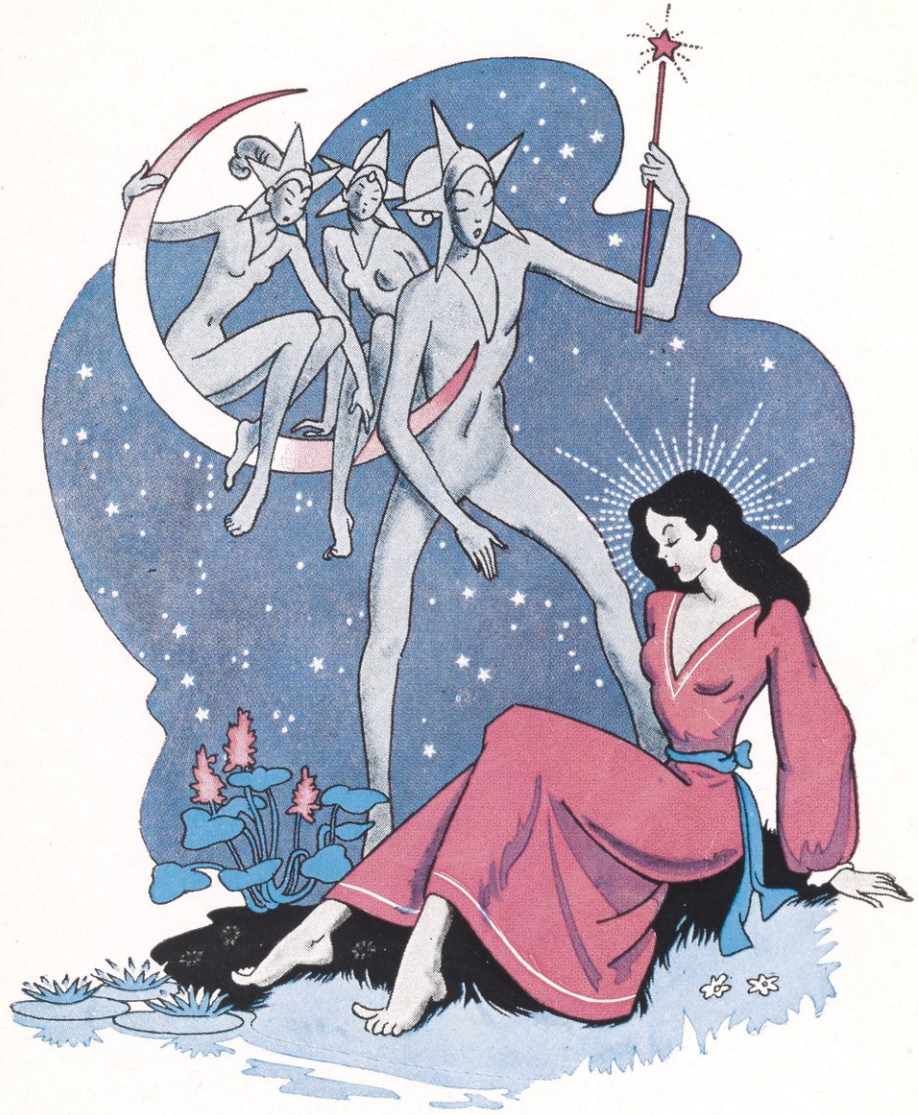
١٩٣١





الصَّبَا وَالْجَمَالُ

الصَّبَا وَالْجَمَالُ مُلْكُ يَدَيْكَ أَيُّ تَاجٍ أَعَزُّ مِنْ تَاجِيكَ
نَصَبَ الْحُسْنُ عَرْشَهُ فَسَأَلْنَا مَنْ تَرَاهَا لَهُ فَدَلَّ عَلَيْكَ
فَاسْكُبِي رُوحَكَ الْحَنُونَ عَلَيْهِ كَانِسِ كَابِ السَّمَاءِ فِي عَيْنَيْكَ
كَلَّمَا نَافَسَ الصَّبَا بِجَمَالِ عَبْقَرِيَّ السَّنَا نَمَاهُ إِلَيْكَ
مَا تَغْنَى الْهَزَارُ إِلَّا لِيُلْقِي زَفَرَاتِ الْغَرَامِ فِي أُذُنِكَ
سَكِرَ الرَّوْضُ سَكْرَةً صَرَغَتْهُ عِنْدَ مَجْرَى الْعَبِيرِ مِنْ نَهْدِكَ
قَتَلَ الْوَرْدُ نَفْسَهُ حَسَدًا مِنْكَ وَأَلْقَى دِمَاهُ فِي وَجْنَتَيْكَ
وَالْفَرَاشَاتُ مَلَّتِ الزَّهْرَ لَمَّا حَدَّثَهَا الْأَنْسَامُ عَنْ شَفَتَيْكَ
رَفَعُوا مِنْكَ لِلْجَمَالِ مِثَالًا وَانْحَنَوْا خُشَعًا عَلَى قَدَمَيْكَ



قصت نجيمتنا الحسناء بدعتها
وكان بالقرب منها كوكب غزل
عن نجمة الشط والآذان ترعاها
يصغي فلما رآها سبح الله
(صفحة ١١٩)



Two large rounded objects, one of which is a (stone)
The other is a (stone) of the same size, but of a different shape.

(Continued)



جَفَنُهُ عِلْمُ الْغَزَلِ

جَفَنُهُ عِلْمُ الْغَزَلِ وَمِنْ الْعِلْمِ مَا قَتَلَ
فَحَرَقْنَا نَفُوسَنَا فِي جَحِيمٍ مِنَ الْقَبْلِ

وَنَشَدْنَا وَلَمْ نَزَلْ حُلْمُ الْحُبِّ وَالشَّبَابِ
حُلْمُ الزَّهْرِ وَالنَّدَى حُلْمُ اللَّهِوِ وَالشَّرَابِ

هَاتِيهَا مِنْ يَدِ الرِّضَى جُرْعَةً تَبْعَثُ الْجُنُونَ
كَيْفَ يَشْكُو مِنَ الظَّمَا مَنْ لَهُ هَذِهِ الْعُيُونُ

يَا حَبِيبِي أَكُلَّمَا ضَمَّنَا لِلْهَوَى مَكَانَ
أَشْعَلُوا النَّارَ حَوْلَنَا فَعَدَوْنَا لَهَا دُخَانَ



قُلْ لِمَنْ لَامَ فِي الْهَوَى هَكَذَا الْحُسْنُ قَدْ أَمَرَ
إِنْ عَشَقْنَا فَعُذْرُنَا أَنْ فِي وَجْهِهَا نَظَرُ





يا خيال الحبيب

جُرْتُ فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ عَلِيًّا وَمَحَوْتُ الضِّيَاءَ مِنْ نَاطِرِيَا
كُنْتُ أَنْشُودَةَ الْخُلُودِ عَلَى ثَغْرِي وَهَمَسَ السَّمَاءُ فِي أُذُنِيَا
كُنْتُ دُنْيَايَ فَاضْمَحَلَّتْ وَحُلُمًا مِنْ شُعَاعِ الصَّبَا قَضَى حِينَ حَيًّا
يَا خَيْالَ الْحَبِيبِ لَمْ تُبْقِ مِنِّي غَيْرَ حُزْنِي وَغَيْرَ دَمْعِي حَيًّا
أَمْسَحُ الْقَبْرَ بِالْجُفُونِ وَفَاءً لِعِرَامِي وَإِنْ أَسَاءَ إِلَيَّا
أِذَا رُمْتُ قُبْلَةً مِنْ حَبِيبِي عَثَرْتُ قَبْلَ لَمْسِهَا شَفَتِيَا
ضَحِكُ الْحَظِّ مَرَّةً لِي فِي الْحُلُمِ فَلَمَّا اُنْتَبَهْتُ لَمْ أَرَ شَيْئا

١٩٣١





بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي

إِسْقِنِيهَا بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا لِتَجْلُو أَلْهَمَّ عَنِّي ، أَنْتَ هَمِّي
إِمْلَأِ الْكَأْسَ ابْتِسَامًا وَغَرَامًا
فَلَقَدْ نَامَ أَلْدَامَى وَالْخُزَامَى
زَحَمَ الصُّبْحُ الظَّلَامَا فَالَامَا
قُمْ نُنْهِنِهِ شَفَتَيْنَا ، وَنَذَوِّبُ مُهْجَتَيْنَا ، رَضِيَ الْحُبُّ عَلَيْنَا
يَا حَبِيبِي

بَابِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِسْقِنِيهَا لَا لِتَجْلُو أَلْهَمَّ عَنِّي ، أَنْتَ هَمِّي
غَنَّنِي وَاسْكُبْ غِنَاكَ وَلِمَاكَ
فِي فَمِي ، فَدَيْتُ فَاكَ هَلْ أَرَاكَ
وَعَلَى قَلْبِي يَدَاكَ وَرِضَاكَ



هَكَذَا أَهْلُ الْغَزَلِ كُلَّمَا خَافُوا الْمَلَلَ أَنْعَشُوهُ بِالْقُبُلِ

يَا حَبِيبِي

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِسْقِنِيهَا لَا لِتَجْلُو أَلَمَّ عَنِّي ، أَنْتَ هَمِّي

صُبَّهَا مِنْ شَفْتَيْكَ فِي شَفْتَيَّ

ثُمَّ غَرَّقْ نَظْرِيكَ فِي نَظْرِيَّ

وَاخْتَصِرْهَا مَا عَلَيْكَ أَوْ عَلَيَّ

إِنْ تَكُنْ أَنْتَ أَنَا وَجَعَلْنَا أُلْزَمَنَا قَطْرَةً فِي كَأْسِنَا

يَا حَبِيبِي

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي ، إِسْقِنِيهَا لَا لِتَجْلُو أَلَمَّ عَنِّي ، أَنْتَ هَمِّي



وَقَدْ يُغْنِي الْفَتَى

سَقِيًّا لِأَيَّامِ لُبْنَانَ الَّتِي سَلَفَتْ كَأَنَّهَا سَكَرَاتُ الْوَصْلِ فِي الْحُلْمِ
كَأَنْتَ شَبَابًا وَأَمَلًا مُجَنَّةً رَمَى بِهَا الدَّهْرُ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْهَرَمِ
يَا صَارِفَ الْكَأْسِ عَنَّا لَا تَضِنَّ بِهَا وَيَا أَخَا الْوَتْرِ الْمِكْسَالِ لَا تَتَمِ
أَدِرْ عَلَيْنَا مِنَ الصَّهْبَاءِ أَفْتَكْهَا وَخَذِرِ الْعَصَبِ الْمَحْمُومِ بِالْنِّعَمِ
قَدْ يَشْرَبُ الْحَمْرُ مَنْ تَغْلُو الْهَمُومُ بِهِ وَقَدْ يُغْنِي الْفَتَى مِنْ شِدَّةِ الْأَلَمِ

١٩٤١

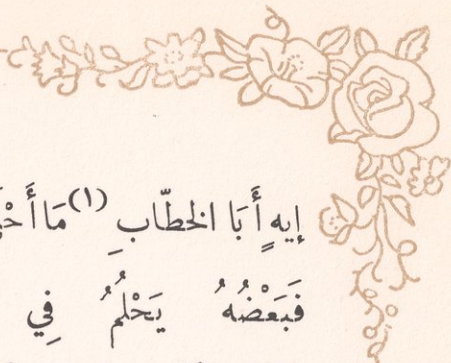




عَمْرَوْنَعَمْ

عمر بن أبي ربيعة من أشهر شعراء الغزل في صدر الإسلام
انفرد عن شعراء العرب عهد ذلك بأسلوبه الجديد في مخاطبة
النساء والتعرض لهن مع عراقة محتده وبسطة يده وفتون
شعره وجميل مروءته فهو شاعر الجمال والطرب لم يجتمعا
لشاعر قبله. وأجل قصائده بل أكملها تلك التي قالها في
« نعم » يصف فيها زورته لها وما تم لها في تلك الزورة
وصفاً أخذاً ، وقد جعلت هذه القصيدة إطاراً لتلك :

أَخَاكَ يَا شِعْرُ فَهَذَا عُمَرُ وَهَذِهِ « نَعَمْ » وَتِلْكَ الَّذِ كَرُ
لَوْحَانٍ مِنْ فَجْرِ الصَّبَا وَوَرْدِهِ غَذَاهُمَا قَلْبٌ وَرَوَى مُحْجَرُ
يَخْتَالُ مِنْ نَشْوَتِهِ تَحْتَهُمَا مَا غَرَّدَا عُدُ السَّبَابِ الْأَخْضَرُ
فَرَّخَانَ فِي وَكْرِ تَلَاقٍ جَانِحُ وَجَانِحُ وَمِنْقَرُ وَمِنْقَرُ
يَخْتَلِسُ الْقُبْلَةَ مِنْ مَبْسِمِهَا هَلْ تَعْرِفُ الْعُصْفُورَ كَيْفَ يَنْقُرُ؟
وَهُوَ إِذَا أَمْعَنَ فِي أُرْتِشَافِهَا عَلَّمْنَا كَيْفَ يَذُوبُ السُّكَّرُ
رِسَالَةٌ مِنْ فَمِهِ لِفَمِهَا كَذَا رِسَالَاتُ الْهُوَى تَخْتَصِرُ



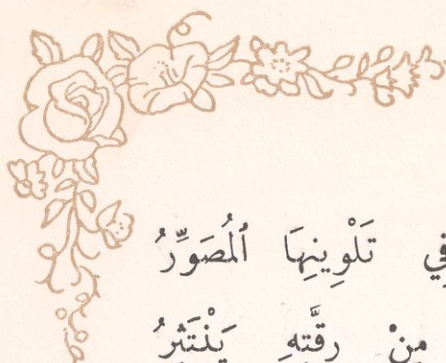
إِيَّاهُ أَبَا الْخَطَّابِ^(١) مَا أَخْلَى الْهَوَى
فَبَعْضُهُ يَحْلُمُ فِي أَوْرَاقِهِ
مَلَأَتْ أَفْقَ الْحُبِّ عِطْرًا وَسَنَى
أَلْجَنَّةُ الزَّهْرَاءِ مَا تَرُسُّهُ
وَالنَّعْمُ الْخَالِدُ مَا تُنْشِدُهُ
أَوْ سَبَقَ فَالشَّاعِرُ الْمُغَبَّرُ
حَلَّقَ وَلَا تَحْفِلُ أَأَزْرَى حَاسِدٌ
عَابَ عَلَى الْبُلْبُلِ مَا يَطْرَحُهُ
مِنْ رِيَشِهِ وَهُوَ بِهِ يَأْتِزُّ
وَصُورًا لِلْوَحْيِ فِيهَا سُورُ
وَالْحُمُرَةُ الْعُذْرَاءُ مَا تَعْتَصِرُ
وَالْمَثَلُ الشَّارِدُ مَا تَبْتَكِرُ
أَوْ أَنْبَرَى لِحَتْفِهِ شُوَيْعِرُ
مِنْ نَوَّارِهِ وَتَنْثُرُ
وَبَعْضُهُ عَلَى الرَّبِّي مُبْعَثُرُ

قُلْ لِي : بِنُعْمٍ وَبِأَنْرَابٍ لَهَا
لَيْلَةُ ذِي دَوْرَانَ^(٢) هَلْ كَانَتْ كَمَا
يَلْعَنِينَ مَا شَاءَ الصَّبَا وَالْأَشْرُ
حَدَّثَتْ أُمُّ أَخِيْلَةٍ وَصُورُ

(١) أبو الخطاب كنية عمر بن أبي ربيعة .

(٢) ذو دوران المكان الذي يشير إليه عمر في قصيدته بقوله :

وليلة ذي دوران جشمي السرى وقد يجشم الهول المحب المغرر



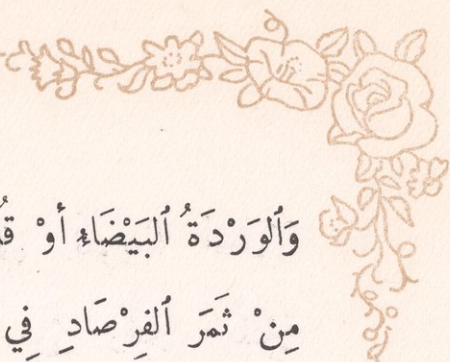
و«نعم» هل كانت كما صوّرت أم
وذلك «المجنّ»؟ .. ما أوهنه
يا للمنى أعن يمين كاعب
فمن هنا حيث تندى الزهر
وأنت لا تألو دعاباً في الهوى
بالغ في تلوينها المصور
يكاد من رفته ينتثر
وعن شمال كاعب ومعضر^(١)
ومن هنا حيث تدلى الثمر
شم وتقبيل وأشيا آخر

قالوا الحجاز مجذب لما عموا
إن زقت العود أناشيد الهوى
أو صفت للهو في أثراها
الحب مذبوح على أقدامها
تعرت الشمس على وجنتها
العنب الأحمر مسفوح على
و«نعم» فيه روضة ونهر
حن لها العود وجن الوتر
ماج لها الوادي وغى الشجر
والحسن في الحاظها يكبر
وانشق - لو تعلم أين - القمر
شفها، ما الأفحوان الأصفر؟!

(١) إشارة إلى قول عمر :

ثلاث شخوص كاعبان ومعضر

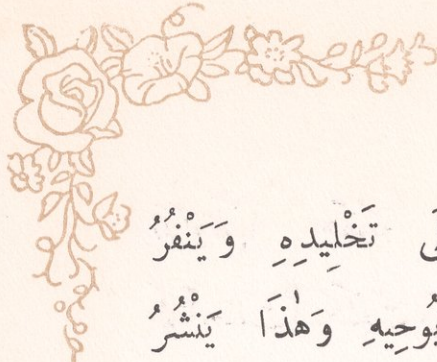
وكان مجني دون من كنت أتقي



وَالْوَرْدَةُ الْبَيْضَاءُ أَوْ قُلْ نَهْدُهَا كَأَنَّهُ مِنْ خِيَلٍ يَسْكُرُ
مِنْ ثَمَرِ الْفَرْصَادِ فِي ذُرْوَتِهِ الْـرَّيَّانَةُ الْمِعْطَارِ «كَبْشٍ» أَحْمَرُ
أَوْ أَنَّهُ رَأْسُ مَلَكٍ أَشْقَرٍ يَحْمِلُهُ صَدْرُ حَنُونٍ أَشْقَرُ
دَغْدَغُهُ أَخُو هَوَى فَمَدَّ مِنْ لِسَانِهِ وَرَاحَ شَهْدًا يَقْطُرُ

رِقْقًا أَبَا الْخَطَّابِ .. جَاوَزْتَ أَلْمَنَى فَهَلْ تَرَى فِي الْأَفْقِ تَاجًا يُضْفَرُ
أَشْرَفَ مِنَ الذَّرْوَةِ .. كَمْ فِي سَفْحِهَا لِلطَّيْرِ مِنْ أَجْنِحَةٍ تَكْسِرُ ...
ثَلَاثَةٌ مَا عِشْتَ عَاشْتَ لِلْعُلَى الْحُبُّ ثُمَّ الشَّعْرُ ثُمَّ الْمَنْبَرُ
لَوْلَاكَ وَالشَّعْرُ الَّذِي أَبْدَعْتَهُ مَا نَعَمُ ، مَا دَوْرَانُ ، إِلَّا أَثَرُ
لَوْلَا «جَمِيلٌ» لَمْ تَكُنْ «بُثَيْنَةَ» وَلَمْ تَكُنْ عَبْلَةً لَوْلَا عَنَتُ^(١)
مَا الْحُسْنُ لَوْلَا الشَّعْرُ إِلَّا زَهْرَةٌ يَلْهُو بِهَا فِي لَحْظَتَيْنِ النَّظَرُ
لَكِنَّهَا إِنْ أَدْرَكَتْهَا رِقَّةٌ مِنْ شَاعِرٍ أَوْ دَمْعَةٌ تَنْحَدِرُ
سَالَتْ دِمَاءُ الْخُلْدِ فِي أَوْرَاقِهَا وَنَامَ تَحْتَ قَدَمَيْهَا الْقَدَرُ

(١) جميل الشاعر العذري المشهور وحييته بثينة وقد شهرت به .



فَاعْجَبْ لِدِي حُسْنٍ يُجَا فِي شَاعِرٍ
وَالشَّعْرُ رُوحُ اللَّهِ فِي شَاعِرِهِ
غِذَاؤُهُ الْأَخْلَاقُ فِي بُرْعُمِهَا
أَلْحِكْمَةُ الْغَرَائِ مِنْ أَسْمَائِهِ
لَهُ عَلَى الْآفَاقِ فَتَحٌ زَاهِرٌ
يُمِضِيهِمَا مِنْهُ خِيَالٌ مَارِدٌ
تَعَلَّقَ الْعِلْمُ عَلَى أَسْبَابِهِ
يَشْقَى عَلَى تَخْلِيدِهِ وَيَنْفَرُ
ذَلِكَ يُوحِيهِ وَهَذَا يَنْشُرُ
وَمَاؤُهُ مَاءُ الْحَيَاءِ الْأَطْهَرُ
وَعَدْنُ مِنْ أَوْطَانِهِ وَعَبْتَرُ
وَفِي عُبَابِ الْمَاءِ فَتَحٌ أَزْهَرُ
أَبُو الْفُتُوحَاتِ الَّذِي لَا يُقْهَرُ
فَحَلَقَ الطَّوْدُ وَقَالَ الْحَجَرُ

لَوْ أَنْصَفَ الشَّعْرُ وَقَدْ فَجَّرَتْهُ
تُجَذِّفُ الْأَحْلَامُ فِي الْوَاكِ
لَوْ أَنْصَفَ الشَّعْرُ لَكُنْتَ قُبْلَةً
أَوْ أَنْصَقْتَ «نَعَمْ» وَقَدْ أَبْرَزَتْهَا
فِي بِدْعَةِ الشَّعْرِ لَمْ يَحْلَمْ بِهَا
«قَيْسُ» وَلَمْ يَنْهَدْ لَهَا كَثِيرٌ^(١)
جَدَاوِلًا يَسْطَعُ مِنْهَا الشَّرَرُ
وَيَتَعَرَّى عِنْدَهُنَّ السَّحَرُ
مَعْسُولَةً فِي تَغْرِهِ يَا عُمَرُ
لِلْفِتْنَةِ الْكُبْرَى مِثَالًا يُؤَثِّرُ

(١) «قيس» مجنون ليل ، و «كثير» ويعرف بكثير عزة شاعر معروف .

تَدَاوَلَتْهَا هَضْبَةٌ فَهَضْبَةٌ وَنَاوَلَتْهَا لِلْخُلُودِ الْأَعْمُرُ
لَوْ أَنْصَفْتُ لَكَشَفْتُ عَنْ صَدْرِهَا تَوَدُّ لَوْ تَطْبَعُ تِلْكَ الْأَسْطُرُ
وَصَفَّقْتُ « لِعُمَرِ » قَائِلَةً بِنَازِرِي الْأَسْوَدِ هَذَا الْأَسْمَرُ

١٩٣١





يَا عَاقِدَ الْحَاجِبِينَ

يَا عَاقِدَ الْحَاجِبِينَ عَلَى الْجَبِينِ اللَّجِينِ
إِنْ كُنْتَ تَقْصِدُ قَتْلِي قَتَلْتَنِي مَرَّتَيْنِ

مَاذَا يُرِيدُكَ مِنِّي وَمَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ
أَصْفَرَةً فِي جَبِينِي أَمْ رَعَشَةً فِي أَلْيَدَيْنِ

تَمُرُّ قَفْزَ غَزَالٍ يَبْنَ الرِّصِيفِ وَبَيْنِي
وَمَا نَصَبْتُ شَبَاكِي وَلَا أَذِنْتُ لِعَيْنِي

تَبْدُو كَأَنْ لَا تَرَانِي وَمِلْ عَيْنَكَ عَيْنِي (١)

(١) بمعنى ذاتي .

وَمِثْلُ فَعْلِكَ فَعَلِي وَيَلِي مِنْ الْأَحْمَقِينَ

مَوْلَايَ لَمْ تُبْقِ مِنِّي حَيًّا سِوَى رَمَقِينَ
صَبَرْتُ حَتَّى بَرَانِي وَجَدِي وَقَرَّبَ حَيْنِي

سَتَحْرِمُ الشَّعْرَ مِنِّي وَلَيْسَ هَذَا بِهِيْنِ
أَخَافُ تَدْعُو الْقَوَا فِي الْمَشْرِقِينَ

١٩٣٢





أَنَابَايُ الْهَوَى

أَيُّهَا الْبَلْبُلُ الْمَغَرَّدُ فِي أَلْيَلٍ عَلَى كُلِّ أَخْضَرٍ مَيَّادٍ
غَمَرْتُكَ النُّجُومُ بِالْقَبْلِ السَّكْرِ رَى فَنَقَرُ يَا سَاحِرَ الْمُنْقَادِ
يَا شَقِيَّ الْهَوَى جَفَاكَ الَّذِي تَهْوَى وَمَلَّ الظَّلَامُ مِمَّا تُنَادِي
خَلَقَ اللَّهُ لِلْهَوَى قُبْلَةَ الرُّوحِ وَرَاءَ الْخُدُودِ وَالْأَجْيَادِ
أَنَا أَدْرَى بِالطَّيْرِ حِينَ تُغْنِي كَمْ جِرَاحٍ سَأَلَتْ عَلَى الْأَعْوَادِ

سَلْ ضِفَافَ الْهَوَى أُنْبَتْنَ غُضْنَآ كَسُلَيْمَى أَوْ طَائِرًا كَفُؤَادِي
كُلَّمَا هَلَلَّ الْأَغَانِي عَلَيْهَا قَبْلَتُهُ وَأُنْكَرَتْ كُلَّ شَادٍ
نَحْنُ عُرْسَانِ لِلْغِنَاءِ وَلِلشَّعْرِ جَلَّتْنَا مَوَاكِبُ الْأَعْيَادِ
أَنَا نَايُ الْهَوَى الَّذِي اخْتَرَعَ اللَّهَ وَأَنْتِ الْفَرِيدُ مِنْ إِنْشَادِي

كَفَانِي يَا قَلْبُ

كَفَانِي يَا قَلْبُ مَا أَحْمِلُ أَفِي كُلِّ يَوْمٍ هَوًى أَوَّلُ
أَيَخْلُقُ مِنْكَ جَدِيدُ الْهَوَى فَوَادًا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَعْقِلُ
لَهُ عَثْرَةُ الطِّفْلِ حَوْلَ السَّرِيرِ وَدَمْعَتُهُ الْبِكْرُ إِذْ يُعُولُ
أَفِي كُلِّ وَجْهِ لَنَا مَرَّتَعٌ وَفِي كُلِّ ثَغْرِ لَنَا مَنَهْلُ
كَفَىٰ نَهْمًا لَنْ يَفِرَّ الْجَمَالُ وَتَرَحَّلُ أَنْتَ وَلَا يَرَحُلُ

عَذْرَتُكَ يَا قَلْبُ مِنَ الْهَوَى أَتَرُكُهُ بَعْدَنَا يَذْبُلُ
سَكْتَنَا فَمَا غَرَّدَ الْعَنْدَلِيبُ وَتُبْنَا فَمَا صَفَّقَ الْجَدْوَلُ





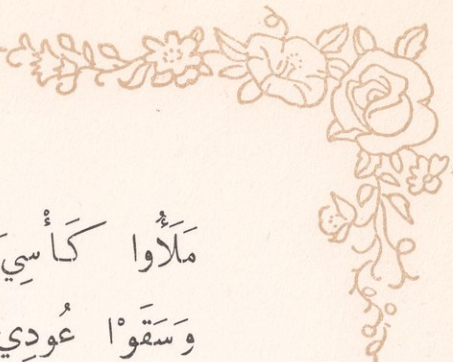
آه مَا أَحْلَى الْحُمَيَّا

آه مَا أَحْلَى الْحُمَيَّا تَحْتَ أَذْيَالِ الشُّكُونِ
وَالْهَوَى يُوحِي إِلَيَّا بِرِسَالَاتِ الْعُيُونِ

كَلَّمَا غَنَيْتُ لَحْنًا فِي دِيَارِ الْبُلْبُلِ
سَرَقَ اللَّحْنَ وَالْقَا هُ بِأُذُنِ الْجَدْوَلِ

خَلَقَ اللَّهُ فُؤَادِي مِنْ شُعَاعِ وَدُمُوعِ
قَبَسًا مِنْ وَجْهِ طَه ذَابَ فِي جَفَنِي يَسُوعِ

لَيْسَ مَا يُشْجِيكَ مِنِّي نَفَمَاتٌ فِي فَمِي
إِنَّهَا وَالْهَفَ نَفْسِي قَطَرَاتٌ مِنْ دَمِي



مَلَأُوا كَأْسِي خَمْرًا لَيْسَ مِنِّي خَمْرِي وَدَنِي
وَسَقُوا عُودِي فَغَنِّي وَفَوَّادِي لَمْ يُغْنِ

أَكَمَا شَأَوَا غِنَائِي وَكَمَا شَأَوَا نَوَاحِي
أَفَلَيْسَ اللَّهُ لَهْوِي وَالْجِرَاحَاتُ جِرَاحِي

يَا حَبِيبِي قُمْ نُرْصِعْ بِالْهَوَى ثَغَرَ الْحَيَاةِ
نَحْ هَذَا الْكَأْسِ عَنِّي وَاسْقِنِي هَذِي الشَّقَاةِ

كُلَّمَا أَوْمَضَ لَحْظًا كَ بِلَحْنٍ يَا حَبِيبِي
كُلَّمَا شَبَّبَ خَدًّا كَ بِخَمْرٍ أَوْ بِطِيبٍ

كُلَّمَا رَتَّلَ نَهْدًا كَ تَرَائِيلَ الْمَغِيبِ
صَفَّقَ الْقَلْبُ وَنَادَى يَا حَبِيبِي يَا حَبِيبِي



من رأى الشاعر تاب

كَذَبَ الْوَاشِي وَخَابَ مَنْ رَأَى الشَّاعِرَ تَابَ
عُمُرُهُ فَجَرَّ مِنْ الْحُبِّ وَلَيْلٌ مِنْ شَرَابِ

كَيْفَ أَصْحُوا!... خَمَرَتِي مِنْ شَفَتَيْكَ
وَالْمَنَى تَضَحَكُ لِي فِي نَظَرَيْكَ
وَأَنَاشِيدُ الْهَوَى فِي أُذُنَيْكَ
هَمَسَاتُ الْقَطَرِ بَلْ رَنَّتْ أَيْكَ
غَنَنِي يَا بُلْبُلِي وَاسْقِنِي يَا جَدُولِي
الْلَيَالِي الْحُمُرُ لِي يَا سُلَيْمَى
كَذَبَ الْوَاشِي وَخَابَ . . .

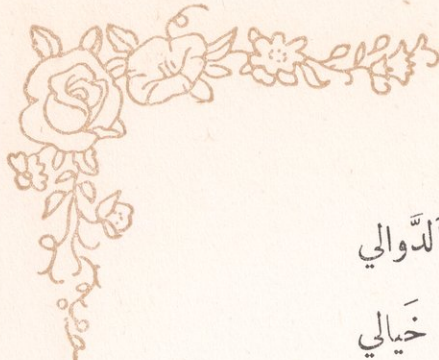
رَدِّدِي ذِكْرِي لِقَانَا الْأَوَّلِ



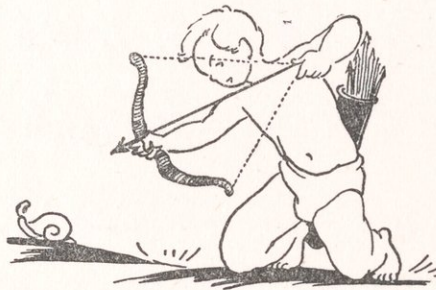
وَتَسَاقِينَا كُؤُوسَ الْغَزَلِ
وَأُفْتِرَاشِ الْعُشْبِ عِنْدَ الْجَدُولِ
أَنَا لَا أُنْسَى وَقَدْ غَنَّيْتُ لِي
عِنْدَمَا اللَّيْلُ احْتَوَانَا كَيْفَ سَأَلَتْ دَمْعَتَانَا وَتَلَاقَتْ شَفَتَانَا يَا سُلَيْمَى
كَذَبَ الْوَاشِي وَخَابَ . . .

يَا لِيَالِينَا عَلَى شَطِّ الْخَلِيجِ
وَمَلَاهِينَا عَلَى مَرْمَى الثُّلُوجِ
حَبَّذَا لِبْنَانُ مِنْ أَفْقٍ بِهِيجِ
فَأُسْفَحِي الْخَمْرَ عَلَى تِلْكَ الْمَرْوَجِ
وَأُسْقِنِي الشَّهْدَ الْمَذَابُ فَإِذَا وَلَّى الشَّبَابُ كُلُّ مَا يَبْقَى تُرَابُ يَا سُلَيْمَى
كَذَبَ الْوَاشِي وَخَابَ . . .

أَنَا طَيْفٌ مِنْ خَيَالَاتِ اللَّيَالِي



مِنْ صَدَى الْوَادِي وَمِنْ هَمْسِ الدَّوَالِي
كَمْ عَلَى الصَّحْرَاءِ وَشْيٌ مِنْ خَيَالِي
وَعَلَى الْبَحْرِ يَتِيَانِي الْغَوَالِي
مِنْهُمَا صُغْتُ حِلَاكَ وَمُنَى النَّفْسِ رِضَاكَ أَنَا وَالشَّعْرُ فِدَاكَ يَا سُلَيْمَى
كَذَبَ الْوَاشِي وَخَابَ مَنْ رَأَى الشَّاعِرَ تَابَ
عُمُرُهُ فَجَرَّهُ مِنَ الْحُبِّ وَلَيْلٌ مِنْ شَرَابِ

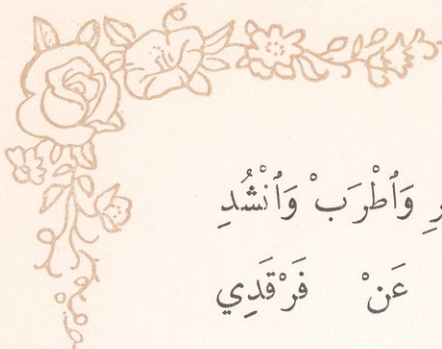


وداد

في العشرين

يَا قِطْعَةً مِنْ كَبِدِي فَدَاكِ يَوْمِي وَغَدِي
وَدَادُ يَا أَنْشُودَتِي الْبِكْرُ وَيَا شِعْرِي النَّدِي
يَا قَامَةً مِنْ قَصَبِ السُّكَّرِ رَخْصَ الْعُقَدِ
حَلَاوَةً مَهْمَا يَزِدُّ يَوْمٌ عَلَيْهَا تَزِدُّ
تَوَقَّدِي فِي خَاطِرِي وَصَفَّقِي وَغَرَّدِي
تَسْتَيْقِظُ الْأَحْلَامُ فِي نَفْسِي وَتَسْقِيهَا يَدِي
رَفِّي عَلَى النَّادِي وَقُوْ لِي الْيَوْمَ عِيدُ مَوْلَدِي
عِشْرُونَ... قُلْ لِلشَّمْسِ لَا تَبْرَحْ وَلِلدَّهْرِ أَجْمَدُ
عِشْرُونَ... يَا رِيحَانَةَ فِي أَنْمَلِي مُبَدَّدُ

عِشْرُونَ... هَلَلْ يَا رَبِيعُ لِلصَّبَا وَعَيْدُ



وَبَشِّرِ الزَّهْرَ بِأُخْتِ الزَّهْرِ وَأَطْرَبْ وَأُنْشِدِ
وَأَنْقُلْ إِلَى الْفَرْقَدِ مَا نَمْنَمُهُ عَنْ فَرْقَدِي





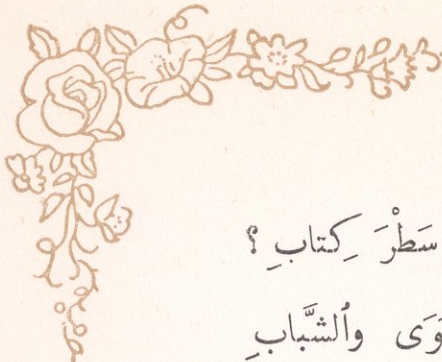
ندى

في الخامسة

ندى ، ندى بِسْمَةِ الْوَرْدِ دِ لِلْنَدَى فِي الصَّبَاحِ
ندى ، ندى هَمْسَةُ الطُّهْرِ فِي شِفَاهِ الْأَقَاحِي
ندى ، ندى شُعْلَةُ الْحُبِّ قُبْلَةَ الْأَرْوَاحِ
كَمْ مِنْ وَشَاحٍ كَسَاَهَا الْجَمَالُ كَمْ مِنْ وَشَاحٍ

أُخْتُ الْفَرَاشَاتِ يَلْعَبْنَ حَالِيَاتِ الْجَنَاحِ
لَمْ تُبْقِ لِلزَّهْرِ وَالطَّيْرِ مِنْ شَذَا وَصَدَاحِ
رُضَابُهَا لِلْحُمَيَّا وَالْأَخْدُ لِلتُّفَاحِ
كَمْ مِنْ وَشَاحٍ كَسَاَهَا الْجَمَالُ كَمْ مِنْ وَشَاحٍ

نَدَايَ مَنْ سَلْسَلَ الْخُمْرَ فِي الثَّنَايَا الْعَذَابِ ؟



مَنْ صَفَّفَ الشَّعْرَ فَوْقَ الْأَجْبَيْنِ سَطَرَ كِتَابٍ ؟
رَدَدْتُ لِي بَعْدَ يَأْسِي حُلْمَ الْهَوَى وَالشَّبَابِ
مَنْ أَنْتَ ؟ !

اللَّهُ اللَّهُ لَمَّا عَضَّتْ عَلَى الْعُنَابِ
وَصَفَّقَتْ بِيَدَيْهَا وَغَمَمَتْ بِالْجَوَابِ
سَلِ الرِّيَاحِينَ عَنِّي وَسَلِّ حَنِينَ الرِّبَابِ

نَدَى ، نَدَى بِسَمَةِ الْوَرْدِ دِلِّ النَّدَى فِي الصَّبَاحِ
رُضَائِي لِّلْحُمِيَّا وَأُخِذْتُ لِّلْتَفَّاحِ
كَمْ مِنْ وَشَاحٍ كَسَاهَا أَلْجَمَالُ كَمْ مِنْ وَشَاحِ

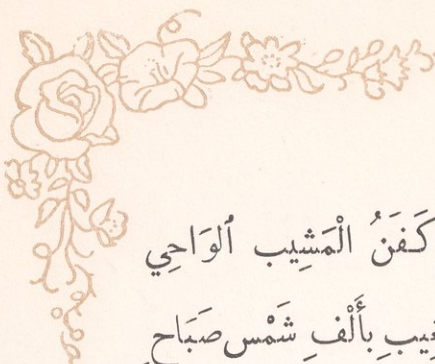


ولد الهوى والخمر...

على ضفاف بردى

فَتَنُ الْجَمَالِ وَثَوْرَةُ الْأُقْدَاحِ صَبَغَتْ أَسَاطِيرَ الْهَوَى بِجِرَاحِي
وُلِدَ الْهَوَى وَالْخَمْرُ لَيْلَةَ مَوْلِدِي وَسَيُحْمَلَانِ مَعِيَ عَلَى الْوَاحِي
قَدْ عِشْتُ بَيْنَهُمَا عَلَى نَعَمِ الصَّبَا كَفَرَاشَةَ عَلِقْتُ مُثْدِيَّ أَقَاحِ
أَشْتَفُ رُوحَهُمَا وَأُعْطِي مِثْلَهَا رُوحًا وَأُسَلِّمُ لَيْلَتِي لِصَبَاحِي
رُوحٌ كَمَا أُحْطَمَ الْغَدِيرُ عَلَى الصَّفَا شِعْبًا مُشْعَبَةً إِلَى أَرْوَاحِ
لِلْحُبِّ أَكْثَرُهَا وَبَعْضُ كَثِيرِهَا لِرُقَى الْجَمَالِ وَبَعْضُهَا لِلرَّاحِ

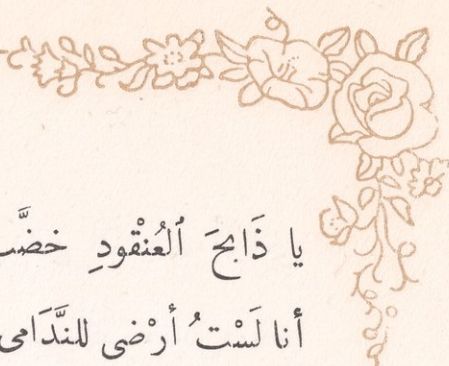
أَنَا لَا أَشِيْعُ بِالْذُّمُّوعِ صَبَابَتِي لَكِنْ أَلْفُ جَنَاحَهَا بِجِنَاحِي
إِلْفَانٍ فِي صَيْفِ الْهَوَى وَخَرِيفِهِ عَزَا عَلَى غَيْرِ الزَّمَانِ الْمَاحِي
دَغْنِي وَمَا زَرَعَ الزَّمَانُ بِمَفْرِقِي مَا كُنْتُ أَذْفِنُ فِي الشُّلُوجِ صُدَاحِي
مَنْ كَانَ مِنْ دُنْيَاهُ يَنْفُضُ رَاحَهُ فَأَنَا عَلَى دُنْيَايَ أَقْبِضُ رَاحِي



مَا اخْتِيرَ لَكُنَّ الْبَيَاضُ لِحُسْنِهِ
لَكِنَّمَا كَفَنُ الْمَشِيبِ الْوَاحِي
إِنِّي أَفْدِي كُلَّ شَمْسٍ أَصِيلَةٍ
حَذَرَ الْمَغِيبِ بِالْأَفْ شَمْسٍ صَبَاحٍ

بَرَدَى نَظَمْتَ لَنَا الزَّمَانَ قَصَائِدًا
بِيضًا وَحُمْرًا مِنْ نَدَى وَصِفَاحٍ
فِي كُلِّ رَابِعَةٍ وَكُلِّ حَنِيقَةٍ
عَصَاءُ تَسْطَعُ بِالشَّدَا الْفَوَاحِ
كَمْ وَقْفَةٍ لِي فِي ذَرَاكَ وَجَوْلَةٍ
شَعْرِيَّةٍ وَهَوَى الشَّامِ سِلَاحِي
فَدَيْتُ لَيْلَكَ وَالْكَوَاكِبُ فِي يَدِي
وَلَثَمْتُ بِدُرِّكَ وَالضِّيَاءِ وَشَاحِي
لَيْلٌ حَرِيرِي النَّسِيجِ كَأَنَّهُ
شَكْوَى الْهُوَى وَصَبَابَةُ الْمُتَلَحِّحِ
وَعَلَى الضُّفَافِ إِذَا تَمَوَّجَتِ الضُّحَى
لَوْ نَانَ مِنْ أَرْجٍ وَمِنْ تَصْدَاحِ
وَالْغُصْنُ فِي حِضْنِ الرِّيَاضِ وَسَادَةٍ
نَمَتْ عَلَى عُتْقَيْنِ مِنْ تَفَاحِ
مُتَلَاذِمِينَ تَوَجَّسَا إِثْمَ الْهُوَى
فَتَخَوَّفَا طَرْفَ الضُّحَى اللَّمَّاحِ

هَلْ لِي إِلَى تِلْكَ الْمَنَاهِلِ رَجْعَةٌ
فَلَقَدْ سَمِئْتُ الْمَاءَ غَيْرَ قَرَّاحِ
رُجْعَى يُعُودُ بِي الزَّمَانُ كَأَمْسِهِ
صَهْبَاءُ صَارِخَةٌ وَلَيْلٌ ضَاحِ



يا ذابح العنقود خضب كفه
أنا لست أَرْضَى للندامى أن أرى
أدب الشراب إذا المدامة عربدت
باكرتها والزهر يشرق بالندى
أهل الندى والبأس إن تنزل بهم
الشام منبتهم وكم من كوكب
وطن أعار الخلد بعض فتونه
بدمائهم بوركنت من سفاح
كسل الهوى وتثاؤب الأقداح
في كأسها أن لا تكون الصاحي
في فتية شم الأنوف صباح
تنزل على عرب هناك فصاح
هاد وكم من بلبل صداح
وسقى المكارم فضلة الأقداح

لبنان يا وله البيان إذا كره
قبلت باسمك كل جرح سائل
أنا إن حُجبت فليس ذاك بضائري
تتجيب الأرواح وهي خوالد
ولر بما خدعتك صفحة هادي
إني إذا جئت رياح سفينتي
أم لست تذكر نجدتي وكفاحي
وركزت بندك عاليا في السّاح
وعلى الخواطر غدوتي ورواحي
وترى العيون زوائل الأشباح
مني وفي الأحشاء عصف رياح
ذهب الجنون بحكمة الملاح



يا وَرْدُ مِنْ يَشْتَرِيكَ

نظمت نزولا على رغبة الصديق الموسيقار محمد عبد الوهاب
وأثبتت هنا نزولا على إلحاح بعض الإخوان .

يا وَرْدُ مِنْ يَشْتَرِيكَ وللحبيب يَهْدِيكَ

يَهْدِي إِلَيْهِ الْأَمْلُ وَالْهُوَى وَالْقُبْلُ

يا وَرْدُ

أَبْيَضُ غَارَ النَّهَارِ مَنْوُ خَجُولُ مُحْتَارُ

بَاسُو أُنْدَا بَخْدُو وَجَارَتْ عَلَيْهِ الْأَغْصَانُ

رَاحَ لِلنَّسِيمِ وَأَشْتَكَى وَجَرَّحَ خَدُودُو وَبَكَى

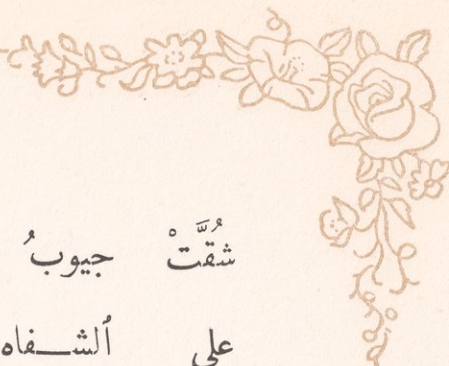
أَفْدَى أَلْخُدُودَ أَلْتِي تَعَبْتُ فِي مَهْجَتِي

يَا وَرْدُ لِيهِ أَلْخُجْلُ فَيْكَ يَحْلُو الْغَزْلُ

يا وَرْدُ

يَا وَرْدُ يَا أَحْمَرُ قَوْلِي مِينِ دَا أَلِّي جَرَّحَكَ

جَرَّحَ شَفَايْكَ وَخَلَّى عَلَيَّ شَفَايْكَ دَمَكَ



شُتَّتْ جُيُوبُ الْغَزَلِ وَانْبَحَّ صَوْتُ الْقُبَلِ
عَلَى الْأَشْفَاهِ الَّتِي تَشْرَبُ مِنْ مَهْجَتِي
يَا وَرْدَ لِيهِ الْخُجْلُ فَيْكَ يَحُلُو الْغَزْلُ

يَا وَرْدَ

أَصْفَرُ مِنْ السَّقَمِ أُمُّ مِنْ فَرْقَةِ الْأَحْبَابِ
يَا وَرْدَ هَوْنٌ عَلَيْكَ عَادَ بَلْبَلُكَ وَلِهَانُ
يَسْأَلُ عَلَيْكَ الرَّبِّي وَالزَّهْرُ وَالْأَنْهَارُ
يَهْتَفُ أَيْنَ الَّتِي وَهَبْتَهَا مَهْجَتِي
يَا وَرْدَ لِيهِ الْخُجْلُ فَيْكَ يَحُلُو الْغَزْلُ

يَا وَرْدَ



في الصفحات التالية طلائع من
قصائد الألم والعروبة والجهاد.





عِيدُ الْجِهَادِ

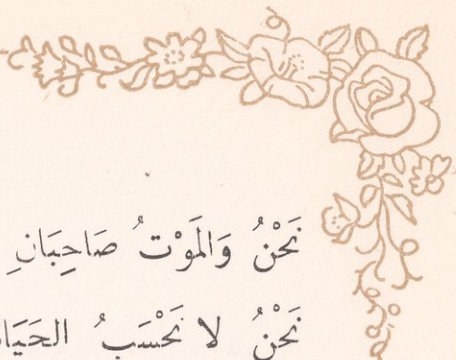
أُثْقِيَتْ مِنْ مَحْطَةِ الْإِذَاعَةِ فِي ٢٢ تَشْرِينَ
الثَّانِي ١٩٥٠

قُمْ نُقْبَلْ ثَغَرَ الْجِهَادِ وَجِيدَهُ أَشْرَقَ الْكَوْنُ يَوْمَ جَدَدَ عِيدَهُ
لَا تَقُلْ خَانَتِ الْقَوَافِي فَحَسْبُ الشُّعْرُ مِنْهَا أَبْيَاتُهَا الْمَعْدُودَةُ
يَتَهَادَيْنَ فِي غَلَائِلَ كَالْوَرْدِ وَيَهْبِطُنَ مِنْ سَمَاءِ بَعِيدِهِ
سَلِّ بِهَا الْأَرْضَ يَوْمَ مُعْتَرِكِ الْأَحْدَاثِ مَنْ كَانَ بُوْقُهُ وَنَشِيدُهُ
شَهِدَ اللَّهُ مَا لَمْ سَنَ جَبِينًا مِنْ تُرَابٍ إِلَّا كَتَبَنَ خُلُودَهُ

أَيُّهَا ذَا اللِّوَاءِ مِنْ خُضْرَةِ الْأَرْضِ زِيَّ كَسَاهَا دَمُ الْجِهَادِ وَرُودَهُ
قَدْ نَشَدْنَاكَ عِنْدَ كُلِّ قَنَاةٍ وَعَلَى كُلِّ أَيْكَةٍ غَرِيدَهُ
قُلْ لَتَتَشَرَّيْنَ مَا نَسِينَا لَكَ الْجُرُوحَ الْمُدْمَى فِي اللَّيْلَةِ الْعَرِيدَةِ^(١)

(١) إشارة إلى أمر المفوض الإفرنسي بالقبض على رئيس الجمهورية وصحبته واعتقالهم

في قلعة راشيا .



نَحْنُ وَالْمَوْتُ صَاحِبَانِ عَلَى الدَّهْرِ حَشَدْنَا أَرْوَاحَنَا وَبُنُودَهُ
نَحْنُ لَا نَحْسَبُ الْحَيَاةَ حَيَاةً أَوْ نُفَدِّي أَوْطَانَنَا الْمَعْبُودَهُ
هَكَذَا تَحْتَفِي الْبُطُولَةُ بِالْعِيدِ وَتَسْقِي أَبْنَاءَهَا عَنْقُودَهُ

قُلْ لِمَنْ حَدَدَ الْقِيُودَ رُويْدًا يَعْرِفُ الْحَقُّ أَنَّ يَفْكَ قِيُودَهُ

أَيُّ بَنِي الْعَرَبِ كَدَتْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ خَطَلَ الرَّأْيِ وَأَنْهِيَارَ الْعَقِيدَةِ
قَدْ مَلَأْتُمْ أُذُنَ اللَّيَالِي غِنَاءً وَاللَّيَالِي يَنْسُجْنَ كُلَّ مَكِيدَةٍ
لَا يُفِيدُ ابْتِسَامُ ثَغْرِكَ شَيْئًا إِنْ تَلَتْ كُلَّ بَسْمَةٍ تَنْهِيدَةٍ
خَابَ مَسْعَاهُ مَنْ يُحَاوِلُ مُلْكًا مُسْتَقِلًّا إِنْ لَمْ يُحْصَنْ حُدُودُهُ
حَشَدَ الْخَضَمِ أَرْضَهُ وَسَمَاهُ وَحَشَدْنَا آمَانَنَا الْمُؤَوَّدَهُ

لَنْ نَرَاهَا إِنْ لَمْ نَمْتَ فِي هَوَاهَا أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَدُنْيَا جَدِيدَةٌ



تحيّة فلسطين

ألقيت من محطة الإذاعة الفلسطينية في
القدس ١٩٤٢

فلسطينُ أفديكِ مِنْ دَمْعَةٍ تَهَاوَتْ عَلَى بَسْمَةٍ حَائِرَةٍ
تَعَانَقَتَا فَاسْتَحَالَ الْعِنَاقُ لَهْمِيًّا عَلَى شَفَةِ ثَائِرَةٍ

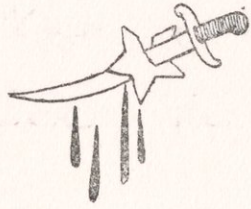
فلسطينُ يَا حُلْمَ الْأَنْبِيَاءِ وَيَا خَمْرَةَ الْأَنْفُسِ الشَّاعِرَةِ
حَمَلْنَا لَكَ الْمُهْجَ الظَّامِنَاتِ وَأَصْدِيَةَ الْقُبَلِ الطَّاهِرَةِ

فلسطينُ يَا هَيْكَلَ الذِّكْرِيَّاتِ عَلَى جَبْهَةِ الْأَعْصِرِ الْعَابِرَةِ
مُضْمَخَةً بِغُبَارِ الْحُرُوبِ مُخَضَّبَةً بِالْمَنَى الزَّائِرَةِ

فلسطينُ يَا جَمَحَاتِ الْخِيَالِ بِالرُّؤْيَى السَّاحِرَةِ
هُنَاكَ عَلَى شُرُفَاتِ النُّجُومِ أَرَى مَكَّةَ تَلْتِمُ النَّاصِرَةَ



أَلَا قَطْرَةً عُرْسَ قَانَا الْجَلِيلِ وَلَوْ بَيْنَ جُذُرَانِكَ الدَّائِرَةِ
تَرُدُّ إِلَى الشَّعْرِ وَحْيَ السَّمَاءِ فَتُلْهِمُهُ الْأَنْفُسُ الْكَافِرَةَ

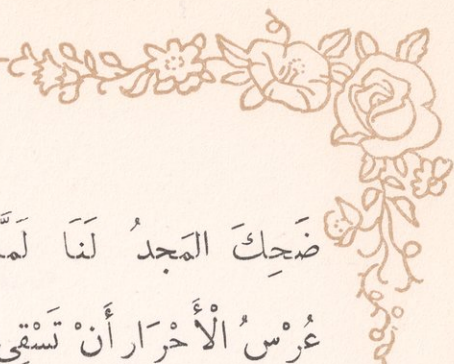




يَا جِهَادًا صَفَّقَ الْمَجْدُ لَهُ

كان لثورة فلسطين ١٩٣٥-١٩٣٦ أثرها الدامي
في نفوس العرب فهبوا يساعدون الشوار بالمال
والسلاح وقد أعدت هذه القصيدة لتلقى في الحفلة
التي قررت مدينة ابن الوليد إقامتها ولكن الحكومة
منعت الحفلة فنشرت في مجلة المعرض على حدة
وقدمت ما جمعته من ثمنها للجنة مساعدة الشوار .

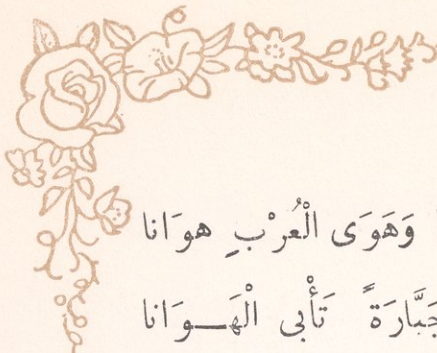
سَائِلِ الْعَلِيَاءِ عَنَّا وَالزَّمَانَا هَلْ خَفَرْنَا ذِمَّةً مُذْ عَرَفَانَا
الْمُرُوءَاتُ الَّتِي عَاشَتْ بِنَا لَمْ تَزَلْ تَجْرِي سَعِيرًا فِي دِمَانَا
قُلْ « لِحُجُونِ بُولٍ » إِذَا عَاتَبْتَهُ سَوْفَ تَدْعُونَا وَلَكِنْ لَا تَرَانَا
قَدْ شَفَيْنَا غُلَّةً فِي صَدْرِهِ وَعَطِشْنَا ؛ فَانْظُرُوا مَاذَا سَقَانَا
يَوْمَ نَادَانَا فَلَيَيْنَا النَّدَا وَتَرَكْنَا نَهْيَةَ الدِّينِ وَرَانَا
ضَجَّتِ الصَّحْرَاءُ تَشْكُو عُزِّيَّهَا فَكَسُونَاهَا زَيْئًا وَدُخَانَا
مُذْ سَقَيْنَاهَا الْعُلَى مِنْ دِمْنَا أَيقَنْتَ أَنَّ مَعْدًا قَدْ نَمَانَا



ضَحِكُ الْمَجْدُ لَنَا لَمَّا رَأَا
بِدَمِ الْأَبْطَالِ مَصْبُوغًا لَوَانَا
عُرْسُ الْأَخْرَارِ أَنْ تَسْقَى الْعِدَى
أَكُوْسًا حُمْرًا وَأَنْغَامًا حَزَانِي
نَزَكُ الْمَوْتِ إِلَى (العَهْدِ) الَّذِي
نَحَرَّتْهُ دُونَ ذَنْبِ حُلْفَانَا
أَمِنَ الْعَدْلُ لَدَيْهِمْ أَنَّنَا
نَزَرَعُ النَّصْرَ وَيَجْنِيهِ سِوَانَا
كُلَّمَا لَوَّحْتَ بِالذِّكْرِ لَهُمْ
أَوْسَعُوا الْقَوْلَ طِلَاءَ وَدِهَانَا
ذَنْبُنَا وَالْدَّهْرُ فِي صَرَعَتِهِ
أَنْ وَفَيْنَا لِأَخِي الْوَدَّ وَخَانَا

يَا جِهَادًا صَفَّقَ الْمَجْدُ لَهُ
لَبَسَ الْغَارُ عَلَيْهِ الْأَرْجُوانَا
شَرَفٌ بَاهَتْ فِلَسْطِينُ بِهِ
وَبَنَاءٌ لِلْمَعَالِي لَا يَدَانِي
إِنَّ جُرْحًا سَالَ مِنْ جَبْهَتِهَا
لَشَمَتُهُ بِخُشُوعٍ شَفَتَانَا
وَأَنِينًا بَاخَتْ النَّجْوَى بِهِ
عَرَبِيًّا رَشَفَتُهُ مُقْلَتَانَا

يَا فِلَسْطِينُ الَّتِي كِدْنَا لِمَا
كَابَدَتْهُ مِنْ أَسَى نَذَسَى أَسَانَا
نَحْنُ يَا أُخْتُ عَلَى الْعَهْدِ الَّذِي
قَدْ رَضِعْنَاهُ مِنَ الْمَهْدِ كِلَانَا



يَتْرَبُ وَالْقُدْسُ مُنْذُ اخْتَلَمَا
شَرَفٌ لِلْمَوْتِ أَنْ نَطْعِمَهُ
وَرْدَةٌ مِنْ دَمِنَا فِي يَدِهِ
أُنْشُرُوا أُلْهُوْلَ وَصَبُّوا نَارَكُمْ
غَذَّتِ الْأَحْدَاثُ مِنَّا أَنْفُسًا
قَرَعَ «الدُّوْشِي» لَكُمْ ظَهَرَ الْعَصَا
إِنَّهُ كَفُوْكُمْ لَكُمْ فَأَنْتَقِمُوا
كَعْبَتَانَا وَهَوَى الْعُرْبِ هَوَانَا
أَنْفُسًا جَبَّارَةً تَأْبَى الْهَوَانَا
لَوْ أَتَى النَّارَ بِهَا حَالَتْ جِنَانَا
كَيْفَمَا شِئْتُمْ فَلَنْ تَلْقَوْا جَبَانَا
لَمْ يَزِدْهَا الْعُنْفُ إِلَّا عُنفُونَا
وَتَحَدَّاهُمْ حُسَامًا وَلِسَانَا
وَدَعُونَا نَسْأَلُ اللَّهَ الْأَمَانَا

قُمْ إِلَى الْأَبْطَالِ نَلْمَسْ جُرْحَهُمْ
قُمْ نَجْعُ يَوْمًا مِنَ الْعُمْرِ لَهُمْ
إِنَّمَا الْحَقُّ الَّذِي مَاتُوا لَهُ
لَمَسَةً تَسْبَحُ بِالطَّيِّبِ يَدَانَا
هَبْهُ صَوْمَ الْفِصْحِ ، هَبْهُ رَمَضَانَا
حَقًّا ، نَمْشِي إِلَيْهِ أَيْنَ كَانَا

دَمْعَةٌ لِلشَّعْرِ فِي جَفْنِ الْعُلَى
حِمَصٌ... وَالْجَنَّةُ مِنْ أَسْمَائِهَا
كَفَكَفَتْهَا كَرَمُ الْخَلْقِ بَنَانَا
أَنَّهُ وَالْمَعْقِلُ الْجَبَّارُ آتَانَا

لَوْ مَشَى « خَالِدٌ » فِي فِتْيَانِهَا مَهْرَجَ الْخُلْدِ وَزَادَ الْفَتْحَ شَانَا
هُمْ سِيَاجُ الْحَقِّ مِنْ أُمَّتِهِمْ جَعَلَتْهُمْ فِي يَدِ الْمَجْدِ ضَمَانَا





الشبابُ الذَاوي

دمعة على شاعر الشباب فوزي المعلوف .

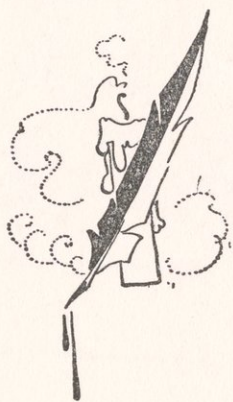
عَجِبُوا أَنْ يَمُوتَ فِي رَيْقِ الْعُمُرِ وَيَطْوِي كَالْبَرْقِ سِفْرَ حَيَاتِهِ
أَهْوَى الْعُمُرُ مَا نُعِدُّ لَهُ الْأَيَّامَ أَمْ بِالشَّهْيِ مِنْ ثَمَرَاتِهِ
غَايَةُ السَّابِقِ الْجَوَادِ مِنَ الدُّنْيَا بُلُوغُ الْبَعِيدِ مِنْ غَايَاتِهِ
مَا عَلَيْهِ إِنْ جَاذَهَا وَكَفَّتَهُ وَثْبَةٌ فِي السَّبَاقِ مِنْ وَثْبَاتِهِ

أَيُّلَامُ الْوَرْدِ الْجَنِيِّ إِذَا جَفَّ رَحِيقُ الْجَمَالِ فِي وَجَنَاتِهِ
وَإِذَا كَانَ عُمُرُهُ بَعْضَ يَوْمٍ وَتَمَشَّى الذُّبُولُ فِي وَرَقَاتِهِ
غَايَةُ الْوَرْدِ أَنْ يُضْمَخَ هَذَا الْجَوْءُ بِالْمُسْتَحَبِّ مِنْ نَفَحَاتِهِ
مَا عَلَيْهِ إِنْ جَاذَ غَايَتَهُ الْقُضْـوَى وَعَدَّ الزَّمَانَ مِنْ سَاعَاتِهِ

أَفْذَنْبُ الْهَزَارِ إِنْ هَامَتِ الْأَقْفَاصُ بِالسَّاحِرَاتِ مِنْ آيَاتِهِ

تَوْقِظُ الرُّوضَ مِنْ كَرَاهٍ وَتَجْلُو بِسَمَاتِ الضُّحَى عَلَى زَهْرَاتِهِ
غَايَةَ الطَّائِرِ الْمُغَرَّدِ مِنْ دُنْ—يَاهُ أَنْشُودَةً عَلَى هَضْبَاتِهِ
مَا عَلَيْهِ إِذَا تَعَجَّلَ فِي الشَّدِّ وَرَوَى الْخُلُودَ مِنْ نَعْمَاتِهِ

عُطِّلَ السَّبْقُ بَعْدَ «فُوزِي» وَجَفَّ السَّيْفُ مِنْ بَعْدِ طَرْسِهِ وَدَوَاتِهِ
وَتَعَرَّى رَوْضُ الْبَيَانِ مِنَ السَّجْعِ وَجَاسَ الْخَرِيفُ فِي جَنَابَاتِهِ





شاعِر يترك الخيال كسيحاً

أُقيمت في الحفلة التأبينية التي أقيمت للشاعر
إلياس فياض في كانون الأول ١٩٣٠

بِالْعَصِيِّينَ دَمْعِهِ وَبَيَانِهِ لَا تَلُمُ شَاعِراً عَلَى خِذْلَانِهِ
بَعْدَ «فِيَّاضَ» جَفَّ فِي جَفْنِهِ الدَّمْعُ وَلَفَّ الْبَيَانُ فِي أَكْفَانِهِ
وَحَبَا كُلُّ سَاطِعٍ فِي سَمَاءِهِ وَذَوَى كُلُّ زَاهِرٍ فِي جَنَانِهِ
هَبَّةٌ مِنْ مَوَاهِبِ اللَّهِ لِلضَّادِ وَنُعْمَى حَلَّتْ عَلَى «لُبْنَانِهِ»
بَسَمَاتٌ عَلَى شِفَاهِ الْحَزَانِ وَمَدَامٌ طَافَتْ عَلَى نُدْمَانِهِ
وَشَهَابٌ أَضَاءَ فِي أَفْقِ الشُّعْرِ فَسِرْنَا بِهِ عَلَى لَمَعَانِهِ
جَمَعَ الْأَحْسَنِينَ فِي أَوْزَانِهِ رُوحَ حَسَانِهِ وَوَجْهَ حِسَانِهِ
وَكَسَا الْأَرَزَ حَالِيَاتِ قَوَافِيهِ وَغَنَّى الْهَوَى عَلَى قُضْبَانِهِ
شَاعِرٌ يَتْرُكُ الْخَيَالَ كَسِيحاً خَلْفَهُ إِذْ يَجِدُّ فِي طَيْرَانِهِ

أَنْشَدَ النَّيْلَ سَاحِرَاتِ لِيَالِيهِ^(١) وَأَلْقَى النُّجُومَ فِي أَخْضَانِهِ

(١) إشارة إلى قصيدته «ليالي الصيف في مصر».

كَبَنَاتِ الْمُلُوكِ يَرُقُصْنَ فِي الْمَا ۚ عَلَى الْمُسْكِرَاتِ مِنْ الْحَانَةِ
يَتَمَنَّيْنَ لَوْ جُعِلْنَ حُلِيًّا فِي يَدَيْهِ أَوْ حِكْمَةً فِي لِسَانِهِ
وَلَقَدْ خَالَهُ النَّخِيلُ عَلَى الْبُعْدِ رَسُولَ الدُّهُورِ مِنْ كُهَّانِهِ
يَضْرِبُ أَلِيمٌ بِالْمَجَازِيفِ حَتَّى تَتَشَطَّى فَكَّاهُ عَنْ أَسْنَانِهِ
فَأُنْبَرَى يَحْمِلُ الْأَكَالِيلَ فِي أَلْهَا م وَحَيًّا بِرَاحِهِ وَبَنَانِهِ

حَفِظَ اللَّهُ مُهْجَةَ الشَّعْرِ فِي الشَّرِّ قِ وَوَقَّاهُ عَادِيَاتِ زَمَانِهِ
كَانَ رِيحَانَةَ الْمَنَازِرَةِ الْغُرِّ وَرَاحَ الْأَرْوَاحِ فِي غَسَّانِهِ
مَا زَهَا مَفْرُقٌ بَتَاجٍ إِذَا لَمْ يَزِهِ بِالْخَالِدَاتِ مِنْ تَيْجَانِهِ
حَلَّ فِي ذُرْوَةِ الْعُرُوبَةِ حَتَّى حَضَنْتُهُ الْآيَاتُ مِنْ قُرْآنِهِ
يَتَمَشَّى حِينًا عَلَى الْوَتْرِ الشَّا دِي وَحِينًا عَلَى شَبَا مُرَّانِهِ
وَأَحَايِينَ فِي لَمَى غُزْلَانِهِ وَأَحَايِينَ فِي لَهَا فُرْسَانِهِ
يَتَمَنَّى الْمُلُوكُ لَوْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِسَكْرَةٍ فِي حَانِهِ
لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا أَسَاءَ إِلَى الْإِيَّامِ حَتَّى أَمْعَنَ فِي عُذْوَانِهِ

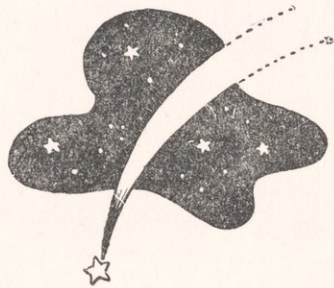


فَهَوَى مِنْ سَمَائِهِ كَاسِفَ اللَّوْ نِ إِلَى هُوَّةِ الشَّقَا وَهَوَانِهِ
كَلَّمَاهُمْ أَنْ يُطَاطَى لِلدَّهْرِ رِثْنَاهُ الْعَرِيقُ مِنْ عُنْفُوَانِهِ
مُؤْتِرٌ أَنْ يَمُوتَ فِي كُوْحِهِ أُلْفَا نِي عَلَى الْبَاقِيَّاتِ مِنْ دِيَوَانِهِ
يَحْمِلُ الْإِبْتِسَامَ فِي شَفَتَيْهِ وَالْمَنَايَا تَسِيلُ مِنْ أُرْدَانِهِ
كَسِرَاجٍ فِي جَوْفٍ دَيْرٍ قَدِيمٍ هَرَقَتْ رُوحُهُ عَلَى جُذْرَانِهِ
يَشْهَقُ الشَّهْقَ الْخَفِيفَةَ فِي الْفَجْرِ وَيُفْنِي أَنْفَاسَهُ بِدُخَانِهِ
كَعَلِيلٍ عَلَى فِرَاشٍ مِنَ السُّلِّ بَعِيدِ الْمَزَارِ عَنْ إِخْوَانِهِ
كَلَّمَ الْأَحْفَ السُّعَالُ عَلَيْهِ أَطْعَمَ الْمَوْتَ قِطْعَةً مِنْ جَنَانِهِ

أَيُّهَا الْجَدُولُ الْوَدِيعُ الَّذِي يَذْ—سُرُّ سِرِّ الْحَيَاةِ فِي جَرَيَانِهِ
أَيُّهَا الْمَدْمَعُ الْحَنُونُ الَّذِي لَوْ لَاهُ مَا افْتَرَّ مَبْسِمٌ عَنْ جَمَانِهِ
أَيُّهَا الْمُنْشِدُ الْكَثِيبُ الَّذِي تَسْمُرُ زُهْرُ الدُّجَى عَلَى تَحْنَانِهِ
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ تُعَقِّرَ فِي التُّرْبِ بٍ وَيَزْهُوَ وَرْدٌ عَلَى أَغْصَانِهِ ؟
أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ تَنَامَ عَلَى الصَّخْرِ وَيَغْفُو قَطْرٌ عَلَى رِيحَانِهِ ؟

أَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ تَنْوَحَ عَلَى الْعُشْبِ وَيَشْدُو طَيْرٌ عَلَى أَوْكَانِهِ ؟
هَكَذَا الشَّاعِرُ الشَّقِيُّ ، يُغْنِي فَيُعَذِّي الْأَفْرَاحَ مِنْ أَحْزَانِهِ

يَا ضَرِيحَ الْحَبِيبِ لَمْ يَبْقَ لِي دَمْعٌ فَأَسْقِي ثَرَاكَ مِنْ هَتَّانِهِ
كُنْتُ إِنْ جَفَّ مَدْمَعِي فِي جُفُونِي أَسْتَعِيرُ الدُّمُوعَ مِنْ أَجْفَانِهِ



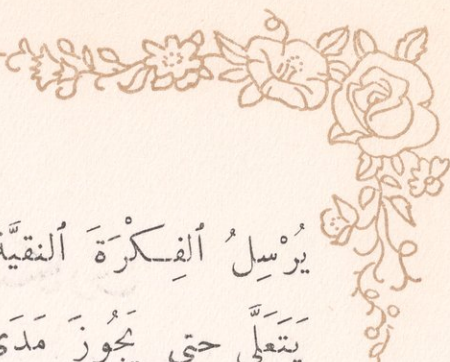


حكمة الدهر أن نعيش سكارى

أُقيمت في الحفلة التأبينية التي أقيمت في بيروت
للناطقة اللبنانية جبران خليل جبران في ٢١ آب ١٩٣١

حكمة الدهر أن نعيش سكارى فأجمعالي الكؤوس والأوتاراً
وأجلوها دنياً ممتعة الحسَن كما تجلوان إحدى العذارى
هي كالورد تحمّل الشوك والعطـر وإن خير اللبيب اختاراً
كلنا كلنا نجاذبها الوصل ونجني اللذائذ الأبقاراً
إنما ذاك يرفع الصوت في النـا دي وهذا يُلقِي عليها ستاراً
فأنهب العيش لا أبالك نهباً وأطرح عنك وجهك المستعاراً
لست مهماً عمّرت غير جناح حطّ في الدّوح لحظة ثمّ طارا

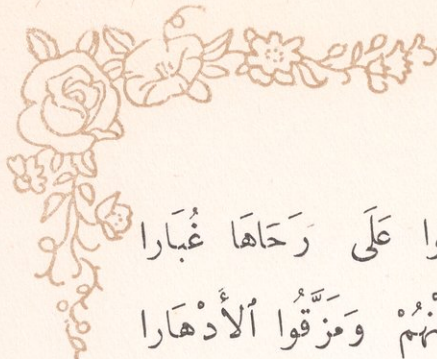
هَبْكَ جبران يلبسُ الأدب السّحر فيأتي بالمعجزات كباراً
يغسلُ الأنفُسَ الجريحة بالدمع فيكسو تلك الجراح أفتراراً
يسكُبُ النّفسَ والبيان على الطّـر سِ فيطوي على الظّلام النهاراً



يُرْسِلُ الْفِكْرَةَ النَّقِيَّةَ عَذْرًا ۚ وَيُرْخِي الضُّحَىٰ عَلَيْهَا إِزَارًا
يَتَعَلَّىٰ حَتَّىٰ يَجُوزَ مَدَى الْوَهْمِ ۖ وَحَتَّىٰ يُهَيِّتَ لَكَ الْأَسْرَارَ
أَفَتَرْجُو شَفِيتَ مِنْ مَرَضِ الْغَفْلَةِ أَنْ يَضْفِرُوا لِرَأْسِكَ غَارًا ! ؟

هَبْكَ جِبْرَانًا وَهُوَ أَنْجِيلُ هَذَا الْأَمْعَصِرِ ۖ فَاضَتْ آيَاتُهُ أَنْوَارًا
ذَلِكَ الْإِرْثُ مِنْ فَلَاسِفَةِ الْأَجْيَالِ ۖ حَابَتْ بِهِ الْخُطُوطُ نِزَارًا
ذَلِكَ الْجَدُولُ الَّذِي يَمْلَأُ الْوَا ۖ دِي أَخْضِرَارًا وَالضَّفَّتَيْنِ أَرْدَاهَارًا
تَسْتَحِمُّ النُّفُوسُ فِيهِ ۖ فَلَا تَبْ—رَحُ إِلَّا جَوَانِحًا أَطْهَارًا
وَتَوَدُّ النُّجُومُ لَوْ سَمَرَ اللَّيْلُ ۖ فَظَلَّتْ لِشَجْوِهِ سُمَارًا
أَفَتَرْجُو شَفِيتَ مِنْ مَرَضِ الْغَفْلَةِ أَنْ يَضْفِرُوا لِرَأْسِكَ غَارًا

هَبْكَ جِبْرَانًا يَرْسُمُ الْفِكْرَ الْوَا ۖ حَا تَطُوفُ الْعُقُولُ فِيهَا سُكَارَى
تَتَنَزَّى أَرْوَاحُهَا خَلَلَ الْخَطِّ ۖ كَمَا ثَارَ فِي الْحَدِيدِ الْأَسَارَى
وَلَكَادَتْ لِرَوْعَةِ الْفَنِّ تَرْفَضُ ۖ وَرَاحَتْ تَشْقُ عَنْهَا الْإِطَارَا



يَبْعَثُ الدَّارِجِينَ فِي الْأَعْصُرِ الْعُبُورِ وَكَانُوا عَلَى رَحَاهَا غُبَارًا
فَإِذَا هُمْ مَوَائِلٌ نَفَضُوا الْأَرْوَاحَ عَنْهُمْ وَمَزَقُوا الْأُدْهَارَا
أَفْتَرَجُوا شَفِيتَ مِنْ مَرَضِ الْغَفْلَةِ أَنْ يَضْفَرُوا لِرَأْسِكَ غَارَا

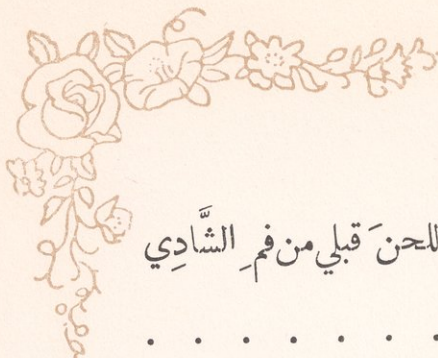
مُتْ إِذَا شِئْتَ أَنْ تَكُونَ أَدِيبًا أَوْ فَبَدَّلْ بِغَيْرِ لُبْنَانِ دَارَا
بَلَدٌ قُسِّمَتْ حُظُوظُ بَنِيهِ فَأَصْبَنَا مِنْ بَيْضِهَا الْأَصْفَارَا
أَنْفًا لِلْبِلَادِ أَنْ تَحْمِلَ الْعَا رَ رَضِينَا أَنْ نَعْتَبَ الْأَقْدَارَا
لَيْسَ مَا تَرَشَّحُ الشُّفَاهُ أَبْتِسَامًا لَوْ تَأَمَّلْتَ بَلْ جِرَاحًا حِرَارَا
وَلَقَدْ يُعْذَرُ الْأَدِيبُ مَتَى ضِيءٌ إِذَا أُرْسِلَ الْعِتَابُ اضْطَرَارَا

أَيُّهَا الْعَبْقَرِيُّ يَا شَرَفَ الْأَرْوَاحِ زِكْفَى الْأَرْضِ إِنْ ذُكِرْتَ فَخَارَا
وَيَحْ لُبْنَانَ كَلَّمَا ذَرَّ نَجْمٌ فِيهِ وَلَّى عَنْ أَفْقِهِ وَأَنَارَا
ضَمَكَ «الشَّيْخُ» فِكْرَةً وَتَرَابًا لَيْتَهُ ضَمَّ غُصْنَهُ وَالْهَزَارَا

أَسْمَهُان

عندَ البلابلِ بينَ السَّفحِ والوادي بعضُ الأحاديثِ عن شَجْوِي وإنشادي
يا مَنْهَلِ الفنِّ قدْ غاضَتْ منابِعُهُ ماذا فعلتِ بقلْبِ المذنبِ الصَّادي
تلكَ الأصائلُ مِنْ وَرْدٍ وَمِنْ حَبَبٍ وأنتِ في صدرِها ريحانةُ النَّادي
حتَّى تحكَّمتِ بالأرواحِ فأنطلقتِ فنحنُ مِنْ بعدها أطلالُ أجسادِ
هلِ الغناءِ إذا جرَّحتِ آهتُهُ سوى عُصارةِ أكبادِ لا أكبادِ
كأنَّهُ موجةٌ بيضاءُ ناعمةٌ يمشي الشِّراعُ بها في بحرِ الهادي
تاوي الأغاريدُ منه حينَ ترسلُهُ إلى وَرَيْفٍ نديٍّ الظِّلِّ مدَّادِ
وينثرُ الرِّوضُ سكرانًا براعمَهُ كالسُّن الطَّيْرِ شقَّتْ نصفَ منقادِ

مَنْ ذاسقِ الرِّوضِ؟ ما هذا الفتونُ بهِ فلستُ أبصرُ فيه غيرَ ميَّادِ
كأنَّ أغصانهُ لَمَّا برزتِ لها سِرْبٌ مِنَ الحُورِ في أثوابِ أعيادِ

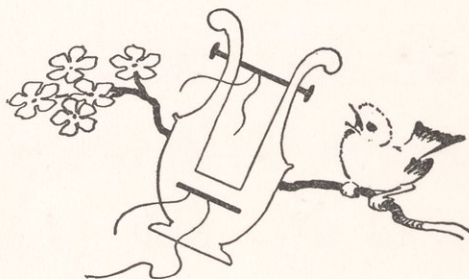


يَكَادُ يُفْتَنُ مِثْلِي ثَغْرُ وَرْدَتِهِ فَيَخْطَفُ اللَّحْنَ قَبْلِي مِنْ فَمِ الشَّادِي

.....

أَضَاعَ جِبْرِيلُ مِنْ قِيثَارِهِ وَتَرَاً فِي لَيْلَةٍ غَابَ عَنْهَا نَجْمُهَا الْهَادِي
وَحَارَ... لَيْسَ يَرَى فِي الْخُلْدِ بُغْيَتَهُ مَا مَعْبُدٌ؟ مَا أَبُو إِسْحَقَ؟ مَا الْوَادِي^(١)
حَتَّى أَطْلَّ عَلَى الدُّنْيَا فَأَذْهَلَهُ أَنْ شَقَّ جَوْفَ الدُّجَى تَرْجِيْعُ إِنْشَادِ
فَاهْتَزَّ تَرَعَشُ فِيهِ كُلُّ جَارِحَةٍ كَأَنَّهَا رِيْشَةٌ فِي كَفِّ عَوَّادِ
وَطَارَ حَتَّى أَتَى الْوَادِي^(٢) وَعَادَ إِلَى الْفِرْدَوْسِ مُحْتَضِنًا «قِيثَارَةَ» الْوَادِي

١٩٤٤



(١) معبد وأبو إسحق الموصلي وحكم الوادي من أشهر مغني العرب .

(٢) وادي النيل .

الجبَابِيّ

في آب ١٩٣٥ أطلقت وزارة المالية جباتها
في القرى اللبنانية يمعنون في الأهلين إرهاباً
لتحصيل بقايا الأموال الأميرية خلال أزمة
مضنية فأوحى ذلك الإرهاب هذه القصيدة .

مَنْ النَّاعِبُ قَبْلَ الْفَجْرِ مَنْ هَذَا عَلَى الْبَابِ
أَعِيدُ الْقُبْحُ مِنْ قُبْحٍ بِأُظْفَارٍ وَأَنْيَابِ
أَقْبَلَ الشَّمْسُ فِي الْآفَا قِ وَالْعُصْفُورُ فِي الْغَابِ ؟
وَمَا زَارَ الْكَرَى جَفْنِي وَلَمْ تَعْلَقْهُ أَهْدَابِي
وَلَا غَدَّيْتُ أَطْفَالِي سِوَى هَيَّي وَأَوْصَابِي
فِرَاشِي يَا وَقَاكَ اللَّهُ مِنْهُ بَعْضُ أَعْشَابِ
وَهَذِي كُوبَتِي الْفَخَا رُ مَا فِيهَا سِوَى صَابِ
فَمَا تَبْغِيهِ فِي بَابِي وَمَنْ أَنْتَ ؟ أَنَا الْجَبَابِي

إِلَهِي أَيُّ دَهْيَاءٍ يُرَدِّي مِثْلَهَا مِثْلِي



وَيَشْكُو فَقْرَهُ قَبِي وَيَشْكُو مَحَلَّهُ حَقْلِي
وَشَاتِي وَهِيَ أُمُّ الْبَيْتِ يَشْكُو ضَرْعَهَا طِفْلِي
رُويْدًا يَا أَخَا الْهَيْجَا ۚ قَدْ أَسْرَفْتَ فِي الْقَتْلِ
أَلَا تُبْقِي عَلَى شَيْءٍ ؟ فَمَنْ يَحْيَا بِلَا أَكْلٍ
كَفَانَا أَنَّا نَمْشِي مِنَ الْبُؤْسِ بِلَا نَعْلٍ
وَأَنَا نَمْضُغُ الْمَوْتَيْنِ — مَنْ ظَلَمَ وَمِنْ ذُلٍّ
فَمَنْ أَغْرَى الرِّزَايَا بِي وَمَنْ أَنْتَ ؟ — أَنَا الْجَبَايَا

بِرَبِّ الْأَرْضِ حَدَّثَنِي أَحَقًّا قَوْلُهُمْ — حَقًّا
بَأَنَّ النَّاسَ فِي بَيْرٍ لَا تَشْقَى كَمَا نَشْقَى
وَأَنَّ الْأُتُنَ وَالْثِيرَا نَ تَلْقَى الْعُطْفَ وَالرَّفْقَا
فَإِنْ صَحَّ الَّذِي قَالُوا أَيْرِضَى الْعَدْلُ ذَا الْفَرْقَا
وَيَرْضَى صَاحِبُ السُّلْطَا نِ أَنْ نَفْنَى وَأَنْ يَبْقَى
الْإِحْكَامَ مَا نَجْنِي ؟ مَتَى كُنَّا لَهُمْ رِزْقَا

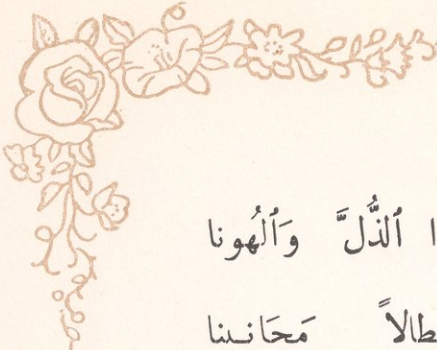


كَذَا يَلْقَى الَّذِي يَنْبَتَا ع بِالْحُرِّيَّةِ الرِّقَا
فَعَدَّ بِاللَّهِ عَنْ بَابِي وَخُذْ مَا شِئْتَ يَا جَابِي

لَمَنْ يَنْسَاقُ هَذَا أَلَمَا لُ قُولِي يَا سَمَا قُولِي
أَأَيْلُولُ عَلَى الْأَبْوَا ب لَا عِشْنَا لِأَيْلُولُ^(١)
يُبَاعُ الْخَبْزُ فِي بَيْتِي لَتَزْمِيرٍ وَتَطْبِيرٍ
وَحَنَقِ الدَّمْعَةِ الْحَمْرَا ء فِي كَفِّ الْأَبَاطِيلِ
أَيَحْيَا عِيدُ أَيْلُولِ عَلَى مِلْئُونَ مَقْتُولِ
وَلَا يَرِثِي أَوْ الْأَمْرِ لِأَشْبَاحٍ مَهَازِيلِ
نِيَامٍ بَيْنَ تَوَرَّاةٍ وَقُرْآنٍ وَإِنْجِيهِ ل
فَمَا فِي الْغَابِ مِنْ نَابِ فَزَمَجِرُ أَيُّهَا الْجَابِي

أَلَا سَيْفٌ مِنَ الْأَيِّمَا نِ يَبْرِي السَّيْفَ مَسْنُونَا

(١) أول أيلول عيد إعلان لبنان الكبير .



يُجَلِّي عَنْ سَمَاءِ الْأَوْطَانِ هَذَا الْأَذَلَّ وَالْهُونَا
يَقُودُ إِلَى جُنُودِ الْمَجْدِ أَبْطَالًا مَجَانِينَا
بِقَلْبٍ يَحْمِلُ الْأَمَانَ وَالْأَلَامَ وَالِدِينَا
يَهْزُ الْقَوْمَ ^(١) بِالذِّكْرِ وَقَدْ يَنْسَى الْفَتْى حِينَا
إِذَا أُعْطِيَ وَعْدَ الْحُرِّ كَانَ الْوَعْدُ مَأْمُونَا
وَلَكِنْ لَيْسَ فِي الْبَابِ سِوَى الْجُنْدِيِّ وَالْجَابِي



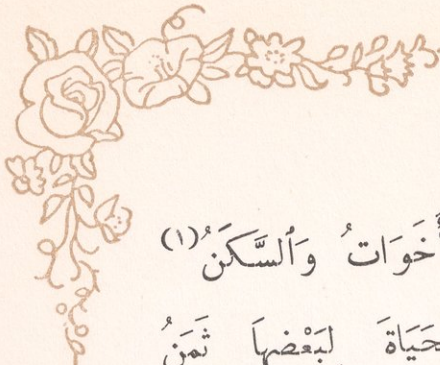
(١) يريد بهم المنتدبين .

عُودُوا إِلَى تِلْكَ الْقَرْيَ

نشرت في العدد الأول من جريدة « البلاد »
لصاحبها الأستاذ موسى نمور والشيخ يوسف
الحازن نزولا عند اقتراحهما .

قَالُوا الْبِلَادُ — فَقُلْتُ أَيُّهُمَا
إِنْ كَانَتْ الْأُولَى فَحَسْبُكُمْ
أَوْ كَانَتْ الْأُخْرَى فَوَاحِرَبَا
أَهِيَ الْجَرِيدَةُ أَمْ هِيَ الْوَطَنُ
قَلَمٌ عَلَى الْأَوْطَانِ مُؤْتَمَنُ
الْبُؤْسُ وَالْأَرْزَاءُ وَالْفِتَنُ

أَبْنِي أَبِينَا طَالَ نَوْمُكُمْ
لَا الْحَقْلُ يَنْبِسُ عَنْ مَعَاوِلِكُمْ
ذَوَاتِ الرِّيَاضِ وَمَاؤُكُمْ عَمَمٌ
وَحَوْتَ زَرَائِبُكُمْ وَكَانَ عَلَى
مِجْرَاثِكُمْ صَدْيُ الْحَدِيدِ بِهِ
عُودُوا إِلَى تِلْكَ الْقَرْيَ فَلَقَدْ
تَشَقَّى النُّفُوسُ وَيَنْعَمُ الْبَدَنُ
فِيهِ وَلَا تَتَرَتَّبُ الْمِهَنُ
وَتَعَطَّلَتْ مِنْ حَلِيهَا الْقَنَنُ
جَنَبَاتِهِمَا يَتَدَفَّقُ اللَّبَنُ
وَالْفَاسُ مِلءُ عُيُونِهَا الْوَسَنُ
سَلَخْتَكُمْ عَنْ قَلْبِهَا الْمَدَنُ



أَلَذَّ كَرِيَّاتُ عَلَى مَقَادِسِهَا
 قَبْلُ الطُّفُولَةِ فِي تَرَائِبِهَا
 تَحْتَ الدَّوَالِي مَلْعَبُ بَرَجٍ
 عِنْدَ الظَّهِيرَةِ وَالرُّبَى وَكَنْ (٢)
 فَدَتِ الْعُيُونُ النُّجْلُ أَجْمَعُهَا
 عَيْنًا تَدْفَقُ مَاؤُهَا الْهَتَنِ
 تَأْوِي الطُّيُورُ إِلَى أَظْلَتِهَا
 وَيَظِلُّ يَلْتَمِسُ كَفَّهَا الْغُصْنُ
 تَرِدُ الصَّبَا بِالجِرَارِ وَقَدْ
 عَادَتْ عَلَى أَكْتَافِهَا الْمُنْزُ
 تِلْكَ اللَّبَوَاتُ الَّتِي عَمُرَتْ
 بِشُبُوهَا الْأَجَمَاتُ وَالْعُرُنْ (٣)

لُبْنَانُ — لُبْنَانُ الْحَبِيبُ خَوَى
 لَا الْبَيْتُ لَا الْبُسْتَانُ لَا الْعَطْنُ (٤)
 خَلَّتِ الْمَرَايِطُ مِنْ سَوَابِقِهَا
 وَتَشَاءَبَتْ بِجِبَالِهَا الْأُتُنُ
 عُودُوا إِلَى تِلْكَ الْقُرَى فَعَلَى
 بِسْمَاتِهِمْ — يَتَمَزَّقُ الْحَزَنُ
 لُبْنَانُ مَا فَعَلَ الزَّمَانُ بِنَا
 يَغْدُو عَلَيْكَ بِأَوْجِهِ كَلَحَتْ
 فَمَتَى يُنَوِّرُ وَجْهَكَ الْحَسَنُ؟

(٢) الوكن : موقع الطير .

(٤) العطن : موضع الماشية .

(١) السكن : الحبيب .

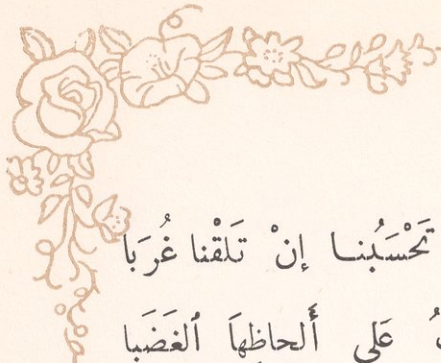
(٣) العرن : جمع عرين وهو بيت الأسد .

المبتني والشَّهْبَاء

ألقيت في الحفلة التكريمية التي أقامتها عاصمة
سيف الدولة في تشرين الأول ١٩٣٥ لصاحب
هذا الديوان .

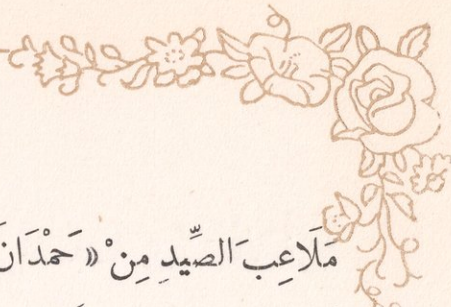
نَفَيْتَ عَنْكَ الْعُلَى وَالظَّرْفَ وَالْأَدْبَا وَإِنْ خُلِقْتَ لَهَا - إِنْ لَمْ تَزُرْ حَلْبَا^(١)
خُذِ الطَّرِيقَ الَّذِي يَرْضَى الْفُؤَادُ بِهِ وَلَا تَخَفْ ، فَقَدِيمًا مَاتَتْ الرُّقْبَا
وَأَسْكُبْ عَلَى رَاخَتَيْهَا رَوْحَ عَاشِقِهَا وَمُصَّ مِنْ شَفَتَيْهَا الشُّعْرَ وَالْعِنْبَا
أَفْذِي الشَّفَاةَ الَّتِي شَاعَ الرَّحِيقُ بِهَا وَهَمَّ بِالْكَأْسِ سَاقِيهَا وَمَا سَكَبَا
كَأَنَّهَا نَجْمَةٌ طَالَ السَّفَارُ بِهَا عَطَشَى . رَأَتْ وَهِيَ تَمْشِي مِنْهَا عَذْبَا
تَوَسَّدَتْ شِقَّتَيْهِ بَعْدَ مَا نَهَلَتْ وَفَارَقَتْ صَاحِبِيهَا : اللَّيْلَ وَالتَّعْبَا
مَا لِلشَّفَاةِ الْكَسَالَى لَا تَزُودُنَا فَقَدْ حَمَلْنَا عَلَى أَفْوَاهِنَا الْقُرْبَا

(١) أخذ بعضهم على الشاعر أنه نفى العلى والظرف والأدب عن أي إنسان لا يزور حلب
والحال أن الشاعر خاطب نفسه بهذا البيت وهو ما يسمونه في البديع التجريد وقد جرى عليه الشعراء
من قبله كقول أبي فراس : « أراك عصي الدمع شيمتك الصبر » ولم يقل أراني . . .
وكقول المبتني : « كفى بك داء أن ترى الموت شافيا » ولم يقل كفى بي . . .



بِهَجَّتِي شَفَّةً مِنْهُمْ بِاخِـلَّةٍ
أَهْمُ بِالنَّظَرَةِ الْعَجَلَى وَأُمْسِكُهَا
أَنَا الَّذِي أَتَهَمْتُ عَيْنَاهُ قَلْبَهُمَا
أَأْمَنُ الشَّفَةَ الدُّنْيَا وَلَوْ طَمَحَتْ
وَيُمِطِرُ الضِّيمُ فِي أَرْضِي وَأَشْرَبُهُ
ذَرِ اللَّيَالِي تَمَعْنُ فِي غَوَايَتِهَا
جَارَانِ ، تَحْسَبُنَا إِنْ تَلَقْنَا غُرْبًا
إِذَا قَرَأْتُ عَلَى الْحَاطِهَا الْغَضْبَا
فَرُحْتُ أَخْلُقُ مِنْ نَفْسِي لِي الرِّيبَا
نَفْسِي إِلَى شَفَةِ الْفَرْدَوْسِ مَا أَنْحَجَبَا
وَكُنْتُ لَا أَرُ تَضِي أَنْ أَشْرَبَ السُّحْبَا
فَقَدْ حَشَدْتُ لَهَا الْأَخْلَاقَ وَالْعَرَبَا

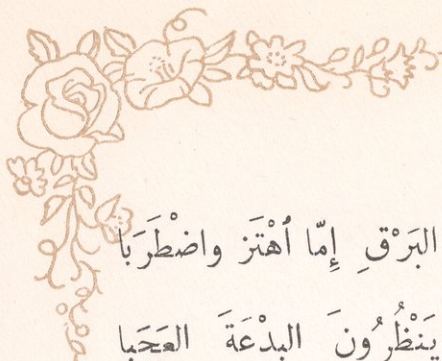
شَهْبَاءُ، لَوْ كَانَتْ الْأَخْلَامُ كَأْسِ طِلَا
أَوْ كَانَ لِلَّيْلِ أَنْ يَخْتَارَ حَلِيَّتَهُ
لَوْ أَلَفَ الْمَجْدُ سِفْرًا عَنْ مَفَاخِرِهِ
لَوْ أَنْصَفَ الْعَرَبُ الْأَحْرَارُ نَهَضَتَهُمْ
لَكِنْ خُلِقَتْ لِأَمْرِ لَيْسَ يَذُرُكَهُ
تَعْرِى الْبُطُولَةُ إِلَّا مِنْ عَقِيدَتِهَا
فِي رَاحَةِ الْفَجْرِ كُنْتُ الزَّهْرَ وَالْحَبِيبَا
وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَيْهِ ، لَا زُدَرَى الشُّهْبَا
لِرَاحِ يَكْتُبُ فِي عُنْوَانِهِ « حَلْبَا »
لَشَيْدُوا لَكَ فِي سَاحَاتِهَا النُّصْبَا
مَنْ يَعْشَقُ الذَّلَّ أَوْ مَنْ يَعْبُدُ الرُّتْبَا
وَالْجُبْنَ أَكْثَرَ مَا تَلْقَاهُ مُنْتَقِبَا



مَلَاعِبِ الصَّيْدِ مِنْ «حَدَّانَ» مَا نَسَلُوا إِلَّا الْأَهْلَةَ وَالْأَشْبَالَ وَالْقَضْبَا
الْخَالِعِينَ عَلَى الْأَوْطَانِ بِهِجَّتَهَا وَالرَّافِعِينَ عَلَى أَرْمَاحِهَا الْقَضْبَا
حُسَامُهُمْ مَا نَبَا فِي وَجْهِ مَنْ ضَرَبُوا وَمُهِرُهُمْ مَا كَبَا فِي إِثْرِ مَنْ هَرَبَا
مَا جَرَّدَ الدَّهْرُ سَيْفًا مِثْلَ «سَيْفِهِمْ» يُجْرِي بِهِ الدَّمَّ أَوْ يُجْرِي بِهِ الذَّهَبَا
رَبُّ الْقَوَافِي عَلَى الْإِطْلَاقِ شَاعِرُهُمْ أَلْخُلْدُ وَالْمَجْدُ فِي آفَاقِهِ أَضْطَحَبَا
سَيْفَانِ فِي قَبْضَةِ الشَّهْبَاءِ لَا ثُلَمَا قَدْ شَرَّفَا الْعُرْبَ بَلْ قَدْ شَرَّفَا الْأَدْبَا

عُرْسٌ مِنَ الْجَنِّ فِي الصَّخَرَاءِ قَدْ نَصَبُوا لَهُ الشَّرَادِقَ تَحْتَ اللَّيْلِ وَالْقُبْبَا
كَأَنَّهُ تَدْمُرُ الزَّهْرَاءَ مَارِجَةً بِمِثْلِ لُسْنِ الْأَفَاعِي تَقْدِفُ اللَّهُبَا
أَوْ هَضْبَةً مِنْ خُرَافَاتٍ مُرَقَّةً بِأَعْيُنٍ مِنْ لُظَى أَوْ مِنْ رُؤُوسٍ ظَبَى
تَخَاصَرَ الْجَنُّ فِيهَا بَعْدَ مَا سَكِرُوا وَبَعْدَ مَا احْتَدَمَتْ أَوْتَارُهُمْ صَحْبَا
فَأَفْزَعَ الرَّمْلَ مَا زَفُوا وَمَا عَزَفُوا فَطَارَ يَسْتَنْجِدُ الْقِيَعَانُ وَالْكُشْبَا

تَكَشَّفَ الصُّبْحُ عَنْ طِفْلِ وَمَارِدَةٍ لَهُ عَلَى صَدْرِهَا زَأْرٌ إِذَا غَضِبَا



كَأَنَّهُ الزَّبَقُ الرَّجْرَاجُ فِي يَدِهَا أَوْ خَفَقَةُ الْبَرْقِ إِمَّا أُهْتَزَّ وَاضْطَرَبَا
نَادَى أَبُوهُ — عَظِيمُ الْجَنِّ — عِترته فَأَقْبَلُوا يَنْظُرُونَ الْبِدْعَةَ الْعَجَبَا
مَاذَا نُسَمِّيهِ ؟ .. قَالَ الْبَعْضُ صَاعِقَةً فَقَالَ كَلًّا... فَقَالُوا. عَاصِفًا — فَأَبَى
فَقَامَ كَالطَّوْدِ مِنْهُمْ مَارِدٌ لِسِنٍّ وَقَالَ : لَمْ تُنْصِفُوهُ أَسْمًا وَلَا لَقَبَا
سَنَبَعْتُ الْفِتْنَةَ الْكُبْرَى عَلَى يَدِهِ فَشَغَلُ النَّاسَ وَالْأَقْلَامَ وَالْكُتُبَا
وَنَجَعَلُ الشَّعْرَ رَبًّا يَسْجُدُونَ لَهُ ؟ فَإِنْ غَوَوْا فَلَقَدْ نُنَّا بِهِ الْأَرْبَا
وَاخْتَالَ غَيْرَ قَلِيلٍ ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ سَمِيَّتُهُ : الْمُتَكَبِّي فَأُنْتَشَوْا طَرَبَا
وَزَلْزَلُوا الْبَيْدَ حَتَّى كَادَ سَالِكُهَا يَهْوِي بِهِ الرَّحْلُ لَا يَدْرِي لَهُ سَبَبَا
يَرَى السَّرَابَ عُبابًا هَاجَ زَاخِرُهُ وَالرَّمْلَ يَلْتَحِفُ الْأَزْهَارَ وَالْعُشْبَا

إِيهِ أَخَا الْوَفْرَةِ السَّوْدَاءِ^(١) كَمْ مَلِكٍ أَعَاضَكَ التَّاجَ مِنْهَا . لَوْ بِهَا اعْتَصَبَا

(١) ذكروا أنه عندما كان في المكتب قيل له ما أحسن هذه الوفرة ، وهي الشعر المتجمع على الرأس فقال :

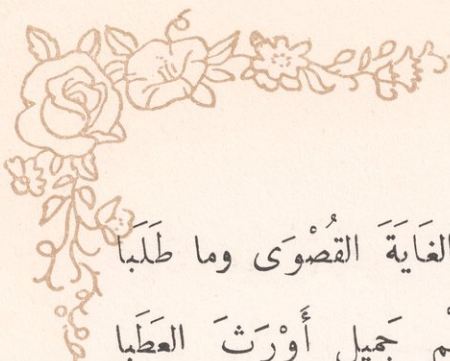
لا تحسن الوفرة حتى ترى منشورة الضفرين يوم القتال
على فتي معتقلٍ صعدة يعلمها من كل وافي السبال

غَضِبْتَ لِلْعَقْلِ أَنْ يَشْتَقِيَ (١) فَتُرْتَلَهُ بِمِثْلِ مَا أُنْذَفَعَ الْبُرْكَانُ وَأُصْطَخَبَا
هَلِ النَّبُوءَةُ (٢) إِلَّا ثَوْرَةٌ عَصَفَتْ عَلَى التَّقَالِيدِ حَتَّى تَسْتَحِيلَ هَبَا
مَا ضَرَّ مُوقِدُهَا وَالْخُلْدُ مَنْزِلُهُ إِذَا رَمَى نَفْسَهُ فِي نَارِهَا حَطَبَا

طَلَبْتَ بِالشَّعْرِ دُونَ الشَّعْرِ مَرْتَبَةً فَشَاءَ رَبُّكَ أَنْ لَا تُدْرِكَ الطَّلَبَا
إِذَنْ لَا تُكَلِّتَ أُمَّ الشَّعْرِ وَاحِدَهَا وَعُطِّلَ الْوَكْرُ ، لَا شَدَّوْا وَلَا زَغَبَا
لَوْ لَا طِمَاحُكَ مَا غَنَيْتَ قَافِيَةَ بَوَّاتِهَا الشَّمْسِ ، أَوْ قَلَدَتْهَا الْحِقَبَا
قَدْ يُؤْثِرُ الدَّهْرُ إِنْسَانًا فَيَحْرِمُهُ مَنْ يَمْنَعُ الشَّيْءَ أَحْيَانًا فَقَدْ وَهَبَا

أَبَا الْفُتُوحَاتِ لَمْ تُزَجِ الْخَمِيسَ لَهَا وَلَا لَبِسْتَ إِلَيْهَا أَلْبِيزَ وَالْيَلْبَا
تَأْتِي التَّخُومَ فَتَلْقَاهَا مُهَلِّلَةً مِثْلَ الْمَرِيضِ ، أَتَاهُ بِالْشِّفَاءِ نَبَا
مَا أَلْفَتْحُ أَهْدَى إِلَيْكَ الرُّوضِ وَالسُّحْبَا كَالْفَتْحِ ، جَرَّ عَلَيْكَ أَلْوِيلَ وَالْحَرَبَا
وَلَوْ فَتَحْتَ بِحَدِّ السَّيْفِ لَا نَحَطَمْتَ تَيْجَانُ قَوْمٍ ، حَشَوْهَا الظُّلْمَ وَالرَّهْبَا

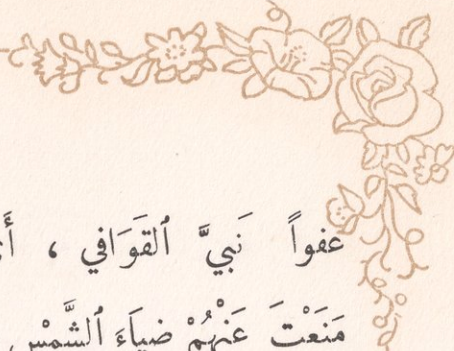
(١ - ٢) إشارة إلى قوله : ذو العقل يشقى في النعيم بعقله ، ثم إلى النبوة التي ادعاها .



« ما كلُّ ما يَتَمَنَّى المرءُ يَدْرِكُهُ » وَيُذْرِكُ الغَايَةَ القُصْوَى وما طَلَبَا
« خُذْ ما تَرَاهُ ودَعْ شَيْئاً حَلَمْتَ بِهِ » فَرُبَّ حُلُمٍ جَمِيلٍ أَوْرَثَ العَطْبَا

بَا مُلْبِسَ الحِكْمَةِ الغَرَاءَ رَوَعَتْهَا حَتَّى هَتَفْنَا : أَوْحِيَا قُلْتَ أَمْ أَدْبَا
كَأَنَّمَا هِيَ أَصْدَاءُ يُرَدِّدُهَا هَذَا إِذَا بَثَّ ، أَوْ هَذَا إِذَا عَتَبَا
قَالُوا أُسْتَبَاحَ أَرِسْطُوحِينَ أَعْجَزَهُمْ وَإِنَّهُ أُسْتَلَّ مِنْ آيَاتِهِ النُّخْبَا
مَهَلًا ، فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا فَيْضُ فَلَاسِفَةٍ يَعُودُ بِالدَّرِّ مِنْهُ كُلُّ مَنْ دَابَا
مَنْ عِلْمَ ابْنِ أَبِي سُلَمَى « حَكِيمَتُهُ » وَقَسَّ سَاعِدَةَ الْأُمَثَالِ وَالْخُطْبَا ؟

يَا خَالِقًا جِيلَهُ ، لَوْلَاكَ مَا عَرَفْتَ لَهُ الْأَوَاخِرُ لَا رَأْسًا وَلَا ذَنْبَا
آمَنْتُ بِالشَّعْرِ مُذْ أَنْشَأَكَ آيَتُهُ وَكَانَ عَرْشًا مِنَ الْأَصْنَامِ فَانْقَلَبَا
أَضْرَمْتَ ثَوْرَتَكَ الْهُوجَاءَ فَالْتَهَمَتْ مِنَ الْقَرِيضِ الْهَشِيمِ الْغَثَّ وَالْخَشْبَا
وَعَالَ شِعْرُكَ شِعْرَ الْكَائِدِينَ لَهُ لِنَفْسِهِمْ حَفَرَتْ أَيْدِيهِمُ التُّرْبَا
حَتَّى رَجَعْتَ وَلِلْأَقْلَامِ هَلْهَلَةٌ فِي كَفِّ أَبْلَغَ مَنْ غَنَى وَمَنْ طَرِبَا

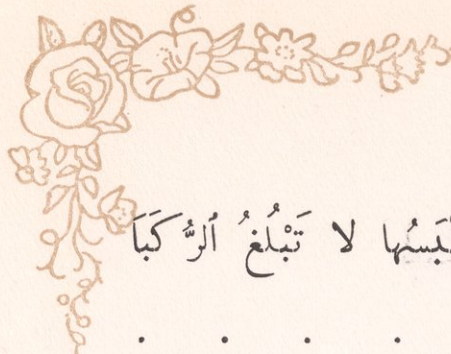


عَفْوًا نَبِيَّ الْقَوَافِي ، أَيُّ نَابِغَةٍ لَمْ يَزْرَعُوا حَوْلَهُ الْبُهْتَانَ وَالْكَذِبَا
مَنْعَتْ عَنْهُمْ ضِيَاءَ الشَّمْسِ فَانْحَجَبُوا فَهَلْ تَلُومُهُمْ إِنْ مَزَقُوا الْحُجُبَا
لَمْ أَلْقِ كَالشَّعْرِ مَظْلُومًا ، فَقَدْ حَشَدُوا لِحَرْبِهِ ، حَسَدَ الْحُسَادِ وَالنُّوبَا
يُرْمَى بِكُلِّ قَبِيحٍ مِنْ مِثْلِهِمْ وَيَرْفَعُونَ لَهُ الْأَنْصَابَ إِنْ ذَهَبَا
مِثْلَ الْمَسِيحِ تَغَالَوْا فِي أَذِيَّتِهِ وَاللَّهُوُ ، وَلَكِنْ بَعْدَمَا صُلِبَا

قَالُوا الْجَدِيدُ فَقُلْنَا أَنْتَ حُجَّتُهُ يَا وَاهِبًا كُلَّ عَصْرِ كُلِّ مَا خَلَبَا
أَفِكْرَةٌ لَمْ تَكُنْ فَتَقَّتْ بُرْعُمَهَا وَجِدَّةٌ لَمْ تَكُنْ أُمًّا لَهَا وَأَبَا
بَعْضُ الْجَدِيدِ الَّذِي يَدْعُوهُ أَدْبًا يَمُوتُ فِي يَوْمِهِ ، هَذَا إِذَا وَهَبَا
إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ حُسْنُ الْوَجْهِ تَعْرِضُهُ فَقَدْ ظَلَمْتَ بِهِ أَثْوَابَكَ الْقُشْبَا

أَتُسَعِّدُ الرَّوْضَةَ الْخَضْرَاءَ بُلْبُلَهَا حَتَّى يَفِي الرَّوْضَةَ «الشَّهْبَاءُ» مَا وَجَبَا
أَيَقْنَتُ أَنْ «سَعِيدًا»^(١) أَخَذَ بِيَدِي لَمَّا سَمَا بِي إِلَى «أُخْوَانِهِ» النُّجْبَا

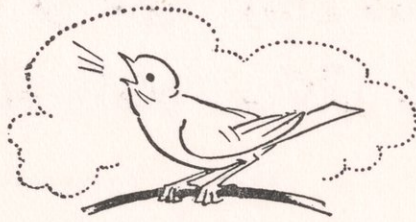
(١) محمد سعيد الزعيم أحد أركان لجنة التكريم .



أَتَيْتُهُمْ فَكَسَوْنِي كُلَّ سَابِغَةٍ وَكُنْتُ أَلْبَسُهَا لَا تَبْلُغُ الرُّكْبَا

.

تَيْهَا «عَرُوسَةَ سُورِيَا» فَقَدْ حَمَلَتْ لَكَ الْقَوَافِي عَلَى رَايَاتِهَا أُلْغَبَا





لبس الخريف بك الربيعا

ألقيت في المأدبة التي أقامها بعض
أدباء حلب على أثر المهرجان .

لبس الخريف بك الربيعا ونحنا عن الورق اللثومعا
أني التفت فلا أرى إلا زهوراً أو شموعا
شهباء يا وله الزمما نـ وروح شاعره الولوعا
قسم الجمال على الورى وسئلت فاخترت الوديعا
النافذ المهبج الصلا بـ كأنها ملئت خشوعا

يا روضة الأدب ألينيـع وحضن سورياً المنيعا
من كان كوكبه جبيـنك لن يزل ولن يضيعا



الفهرست

صفحة	صفحة
بشاره الخوري شاعر الهوى والجمال ١٣	لبنان . . . ٧
تحية الشعر . . . ٣١	الأخطل الصغير . . . ٩

قصائد المرحلة الأولى

٤٧ . . . هند وأمها	٣٣ . . . الهوى والشباب
٤٩ . . . الصوت موهبة السماء	٣٥ . . . وصف فتاة
٥٠ . . . كيف أنسى	٣٦ . . . رحمة رب
٥٣ . . . فدى للبنان نفسي	٣٧ . . . أين عيناك
٥٥ . . . أنا لو كنت يا سليمى	٣٩ . . . قات أهواك يا ملاكي
٥٦ . . . فراشة في وردة	٤٠ . . . صдах
٥٦ . . . مدد الله مدد	٤١ . . . العيون
٥٧ . . . لحام لأدب	٤٤ . . . ماذا أقول له
٥٧ . . . غيرة	٤٥ . . . آه يا هند لو ترين

قصائد من الحرب العالمية الأولى إلى ما بعد ذلك

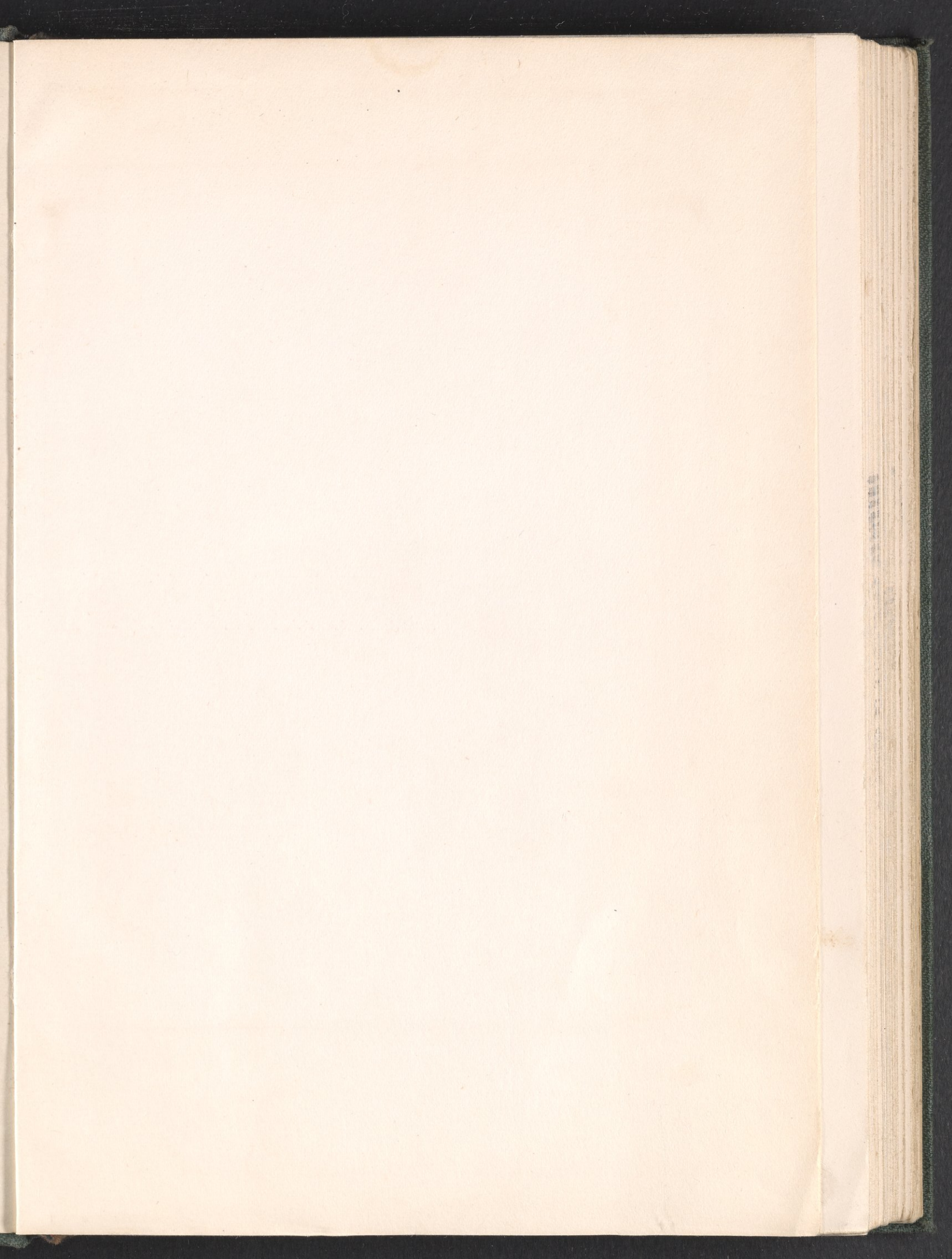
صفحة		صفحة	
١١٩	— سلمى الكورانية . .	٥٩	— الريال المزيف . .
١٢٥	زاهرة الربى . .	٦٤	قلب خافق . .
١٢٨	الصبا والجمال . .	٦٧	— عروة وعفراء . .
١٢٩	جفنه علم الغزل . .	٧٥	إلى امرأة . .
١٣١	يا خيال الحبيب . .	٧٧	— من مآسي الحرب . .
١٣٢	بأبي أنت وأمي . .	٩٠	القرية . .
١٣٤	وقد يغني الفتي . .	٩٢	— سلفين وجيروم . .
١٣٥	— عمر ونعم . .	١٠١	حلم عربي . .
١٤١	يا عاقد الحاجبين . .	١٠٢	قبلات الهوى . .
١٤٣	أنا ناي الهوى . .	١٠٢	القبلة الأولى . .
١٤٤	كفاني يا قلب . .	١٠٢	كرهت الورد . .
١٤٥	آه ما أحلى الحميا . .	١٠٣	— المسلول . .
١٤٧	من رأى الشاعر تاب . .	١١٠	أغصاصة يا روض . .
١٥٠	وداد	١١٢	خيال من دمر . .
١٥٢	ندى	١١٣	زحلة
١٥٤	ولد الهوى والخمر . .	١١٥	الجلبل الملهم . .
١٥٧	يا ورد من يشتريك . .	١١٨	سلي الليل . .

طلائع من قصائد الألم والعروبة والجهاد

١٧٨ . . .	أسمهان	١٦١ . . .	عيد الجهاد
١٨٠ . . .	الجابي	١٦٣ . . .	تحية فلسطين
١٨٤ . . .	عودوا إلى تلك القرى	١٦٥ . . .	يا جهاداً صفق المجد له
١٨٦ . . .	المتنبي والشهباء	١٦٩ . . .	الشباب الداوي
١٩٤ . . .	لبس الخريف بك الربيعا	١٧١ . . .	شاعر يترك الخيال كسيحاً
١٩٥ . . .	الفهرست	١٧٥ . . .	حكمة الدهر أن نعيش سكارى



تمّ طبع هذا الديوان على مطابع
دار المعارف في شهر ديسمبر
(كانون الأول) سنة ١٩٥٣



DATE DUE

Amr M. A. El Halashy,

DEC 12 1973

Suzy Alfy 78/0750

APR 26 1980

Ahmed Sultan (STAFF)

MAY 9 1985

PJ
7842
H8
H3
1953
c.1

الخوري، بشارة
الهوى والشباب

Amr M. A. El Halashy Freshman
DEC 12 1973

Suzy Alfy 78/0750

APR 26 1980

PJ
7842
H8
H3
1953
c.1

1973

SEP



